جمهورية الجهل

قدرية سعيد



اللي بيحصل دا أمر طبيعي – العزوف عن العلم والبحث العلمي أمر طبيعي لأن كـل شيء جـاهز من الخارج – لماذا البحث؟ لماذا ؟
هكذا يفكر الناس..





ميريت

قدرية سعيد

مسرحية

جمهورية الجهل

وقصص أخري

(قصص للفتيان والفتيات)

دار ميريت
القاهرة ٢٠٠٧

مسرحية
جمهورية الجهل
وقصص أخري

قدرية سعيد

الطبعة الأولى ٢٠٠٦ .
(c) دار ميريت
٦ (ب) شارع قصر النيل، القاهرة
تليفون / فاكس: ٥٧٩٧٧١٠ (٢٠٢)
www.darmerit.net
merit56@hotmail.com

الغلاف : عمر مصطفى

المدير العام : محمد هاشم

رقم الإيداع: ٢٠٠٥/٢٣٦٣٩

الترقيم الدولي: 977-351-282-7

جمهورية الجهل

المشهد الأول

هامش مسرحي

يجلـــس رئيس الجمهورية خلف مكتبه- توضع علي المكتب لوحـــة خشـــبية مســـتطيلة تظهر للجمهور بوضوح مكتوبا عليها الرئـــيس محـــروس زايد – تجلس أمامه الدكتورة رضوي ومعها مجموعة من الأوراق .

يمســـك الرئيس بماسورة رفيعة وطويلة جدا إحدي طرفيها فـــي فمـــه والطـــرف الآخـــر في نهايته سيجارة (لا تظهر علي المسرح) .

رئيس الجمهورية : أهلا بالدكتورة رضوي

الدكتورة رضوي في دهشة : أهلا بك سيادة الرئيس- اسمح لي – اسمح لي – ما هذا حضرتك ؟!

الرئيس : سيجارة .

د. رضوي : ولماذا الماسورة الطويلة هذه ؟

الرئـــيس : حمايـــة البيئة – لابد أن يكون مكتب الرئيس بيئة نظيفة وجميلة (يضحك الرئيس)

تسأل الدكتورة رضوي : وأين يذهب دخان السيجارة ؟

الرئيس : أين ؟ إلي المكتب المجاور – لا يوجد مشكلة– لابد أن يكون مكتب الرئيس بيئة نظيفة وجميلة .

يدخل السكرتير يلبس بدلة وفي يده ورقة ويضع علي انفه (ماسك) يشير الرئيس إلي السكرتير وهو يبتسم وينظر إلي الدكتورة رضوي ، ثم يقوم بالتوقيع علي الورقة – يخرج السكرتير دون أن ينطق– يأخذ الرئيس نفسا من السيجارة ثم (نفسا) آخر ويسند الماسورة علي طفاية كبيرة أمامه علي المكتب

يدخل السكرتير مرة أخري وهو يضع (الماسك) علي أنفه و(كمامة) علي فمه– ويشير الرئيس مرة أخرى إلي السكرتير وهو مبتسم وينظر إلي الدكتورة رضوي – ويخرج السكرتير دون أن ينطق .

الرئيس : كل شيء له حل يادكتورة رضوي – إنني أعرف محاولاتك الكثيرة لمقابلة المرحوم – الرئيس السابق – ولكن.. تفضلي ، إنني أسمعك (يأخذ نفسا من السيجارة).

د. رضوي : سيدي الرئيس إن حالة البلاد خطيرة جدا ، لم يسجل أحد في الدراسات العليا منذ عشر سنوات تقريبا ، والبحث العلمي في حالة انهيار ، إنني ألاحظ أن الخريجين من الجامعات ومن أوائل الدفعات يتجهون إلي إنشاء مستشفيات متخصصة في عمليات التجميل – و.. .. وإنقاص الوزن – أيضا سيدات الطبقات الراقية ليس لهن شاغلا سوي المشروعات الحريمي (كيف تظهر المرأة في صورة جميلة ؟) والدليل علي ذلك سيادة

الرئيس من خلال الإحصائيات الرسمية ، تفضل سيادة الرئيس (تقدم مجموعة من الأوراق يتفحصها الرئيس)

تواصل الدكتورة رضوي حديثها : وصلت عدد المستشفيات إلي ٢٠٠ مستشفي في العشر سنوات الماضية – تصور سيادتك إن مستحضرات التجميل هي الواردات الرئيسية لبلدنا (تتنهد الدكتورة رضوي) سيادة الرئيس ظهرت مستشفيات صغيرة للتجميل تقدم خدماتها لتناسب الطبقات الشعبية – حتي محلات البقالة – محلات البقالة – فإنها تخصص رف أو رفين للبقالة والباقي مستحضرات تجميل من النوع الرخيص المصنوع (تحت السلم) حتي يناسب السيدات الفقيرات – إنه هوس الجمال يا سيادة الرئيس، أكيد الجمال مطلوب و لكنه مرتبط بمقاطعة العلم والأبحاث العلمية – لقد كنا نطالب بزيادة مراكز البحث العلمي ، وتوفير التسهيلات اللازمة للبحث العلمي – أما الآن لا يوجد الباحثين الذين يقومون بالبحث – (بصوت عالي) دي كارثة ، كارثة يا سيادة الرئيس .

رئيس الجمهورية : أعرف ذلك – ولكن هناك مراسلات تمت بيننا وبين الدكتور ماهر زكي الطويحي – إنه في الخارج منذ عشرين عاما وله العديد من الأبحاث العلمية القيمة – من المؤكد أنك سمعتي عنه د. رضوي : نعم – إنها فكرة رائعة أن يأتي هنا حتي ندرس معا هذه الظاهرة .

الرئيس : سوف ينضم إلينا حالا الدكتور ماهر .

يتحدث الرئيس من خلال المكتب : الدكتور ماهر يتفضل

صــوت من الخارج عالي جدا .: أمرك يافندم الدكتور ماهر يتفضل.

يدخـــل الدكـــتور ماهر يصافح الرئيس والدكتورة رضوي– يـــأخذ الرئـــيس نفسا من السيجارة (من خلال الماسورة) ينظر الدكتور ماهر باندهاش شديد – ترفع الدكتورة رضوي كتفيها في تعجب ثم تخفضهما.

الرئيس : أهلا بالدكتور ماهر

يدخـــل السكرتير مرة أخرى علي فمه كمامة ولكنه مكشوف الأنـــف يمســـك الورقة في يد واليد الأخرى يشم وردة حمراء – ويوقـــع الرئيس علي الورقة ثم يخرج السكرتير دون أن ينطق بحرف واحد .

الرئيس مبتسما : بيئة نظيفة وجميلة. ..

دكـــتور ماهـــر طبعا عندك فكرة عن المشكلة – ياترى إيه رأيك ؟

د. ماهـــر : اللي بيحصل دا أمر طبيعي – العزوف عن العلم والبحـــث العلمـــي أمر طبيعي لأن كل شيء جاهز من الخارج – لماذا البحث؟ لماذا ؟ هكذا يفكر الناس..

د. رضوي: هناك شيء خطير يادكتور ماهر – معني أنه لم يـــتقدم أحـــد للتســـجيل في الدراسات العليا ، واختفاء شيء اسمه ماجســـتير ودكـــتوراه ، معـــناها أن الظاهـــرة مرتبطة بالشباب والشـــابات ، من خلال الإحصائيات (تقدم ورق للدكتور ماهر) تصـــور أن (الكـــريمات والجيل) اللي بيستخدمها الشباب وصل

اســـتيرادها بالملايين ، يعني تجارة رابحة جدا ، والأسوأ من ذلك أن نسبة الغياب في المصانع بتزيد بين المرض وادعاء المرض – و (التزويغ)

الرئـــيس: ممكـــن ينضم إلينا وزير الحكمة – نعم لدينا الآن وزارة أســـميناها وزارة الحكمة حتي نستطيع مواجهة هذه الكارثة القومـــية . يأمـــر الرئيس من خلال المكتب : ينضم إلينا الوزير حكيم عبد الحكيم .

صوت قوي من الخارج : أمرك يا فندم – الوزير حكيم عبد الحكيم يتفضل.

الرئيس : هيه هات ما عندك ياأستاذ حكيم

وزير الحكمة : أنا درست الموقف دراسة متأنية في الشهور الطويلـــة الماضية ، وعندي ، عندي بعض الأفكار التي أرجو أن تتسع لها صدوركم (يحدق الجميع في وجه الوزير حكيم)

الوزير حكيم : أنا درست التاريخ الفرعوني في مصر ونحن نعلم أن فرعون والكهنة كانوا بيقدموا أجمل الفتيات إلي النيل حتي يعـــبرون عن شكرهم وعرفانهم بالجميل للنيل العظيم – وإذا كنا بنعتـــبر أن هذه الحضارة من أعظم الحضارات ، فمن المؤكد أن أي تفكير أو فعل قاموا به كان من أسباب عظمة حضارتهم .

الرئيس يترك (الماسورة) في فزع تقصد إيه ؟!

وزيـــر الحكمـــة : يعنـــي لمدة سنة كاملة نوظف كل الكتاب والصـــحفيين والإذاعة والتليفزيون في القيام بتوضيح وتأكيد فكرة (عروس النيل) وأن تكون توصياتهم بضرورة تقديم عروس من

أجمل الفتيات إلي نهرنا العظيم لأن ذلك هو أحد شروط قيام الحضارة في جمهوريتنا العظيمة- وبالطريقة دي الناس تخاف وتعقل وتبطل تجميل في تجميل ويبحثون عن شيء آخر يقومون به.

يصيح الرئيس : أنت عبقري – عبقري مش حكيم وبس ، ايه رأيكم ؟

د. ماهر : المسألة محتاجة بعض الدراسات العلمية حتي نتعرف أكثر علي أسباب الابتعاد عن الدراسات العلمية.

الرئيس : نجرب ونري – (يقف الرئيس وكأنه يتخيل) نحشد كل الطاقات الإعلامية وطبعا كل السيدات والبنات ممكن أن يقدمن أنفسهن أو يقدمن أجمل واحدة منهن حتي تدخل التاريخ عندما تري نفسها في أعماق نهر بلدنا – ونقول أيضا أن هذا الحدث سوف يجعل الخير يعم علي الأجيال القادمة .

د. رضوي في سخرية : ممكن نقدم عروس النهر وأيضا عريس النهر إيه المانع ؟!..

الرئيس : ياسلام فكرة هايلة – برامج في التليفزيون – بأن زينة الشباب مهم للنهر ، نريد أجمل راجل أو شاب يقدم نفسه في مهرجان الربيع – الربيع البديع..

(ينظر حكيم إلي الرئيس ويضغط بأسنانه علي فمه) يتراجع الرئيس : لا داعي لاختيار عريس النهر .

د. ماهر : اسمحوا لي سيادة الرئيس – نعود ثانية للدراسة الميدانية ، نقوم فيها بزيارات لكل المؤسسات والهيئات والمصانع

لرصد وتحديد أسباب الظاهرة من خلال حوارات مفتوحة أو استبيانات الأمر في حاجه إلي ..

الرئيس مقاطعا : موت ياحمار تريد حلا سريعا..

د.ماهر: يعني مرض مثل البلهارسيا مثلا استمرت الأبحاث فيه اكثر من ٥٥سنة لاكتشاف دورة حياة دودة البلهارسيا – لابد أن نصبر لابد من وجود الدراسات و..

الوزير (ينظر إلي الدكتور ماهر) : أنا أيضا عندي أفكار كثيرة – ممكن نمنع تماما استيراد مستحضرات التجميل – والإنتاج المحلي نقوم بتوزيعه مع بطاقات التموين.

د. رضوي : (تنظر بقرف) إلي وزير الحكمة : أنا مع دراسة واقتراح الدكتور ماهر – أما الحل القريب العاجل ممكن ، ممكن مثلا تسهيل الإجراءات الخاصة بالبحث العلمي – اقصد الإجراءات الإدارية – تطوير إدارة المكتبات – يعني نعمل صحوة بأهمية البحث العلمي .

يحتد الوزير ويصيح واقفا : اسمعي يادكتورة ، اسمع يادكتور عملنا إيه بالبحث ؟ كله (جاي من بره خلاص)- (الجميع يتسمر في مكانه) صوت غناء حريمي ورجالي : (كله جاي من بره خلاص كله جاي من بره (موسيقي) لا تقولوا إبداع ولا ابتكار كله جاي من بره (موسيقي) خلاص خلاص دوركم شطب شطب).

د. ماهر : أنا عندي خطة حتابع بنفسي وانزل المواقع – مش لازم نيأس.

وزيـــر الحكمـــة : وأنا معايا ميكرفون حنزل بنفسي المواقع واعمل دعاية لمهرجان الربيع .

د.ماهر : البحث العلمي هو الحل.

الوزير : مهرجان الربيع هو الحل.

الرئـيس : خلاص – خلاص كل دا أنا موافق عليه الوزير يجــرب اقــتراحه –الدكــتور ماهر يجرب اقتراحه – كلها آراء وحلول جريئة نجرب – نجرب .

المشهد الثاني

هامش مسرحي

مكاتب – موظفين موظفات – الكل مشغول بوضع المساحيق والحديث عن الجمال ومستحضرات التجميل .

موظفـــة : علي فكرة يامحاسن يوجد في قسم الحسابات عند مصطفي عنده علب (بودرة) بالتقسيط الحقي اشتري منها قبل ما تخلص – وأنت ياعبودة كنت بتسأل علي (الجيل) جيل الشعر ، أنا عارفة إنك عايز تعجب عواطف اللي في المشتريات هي غنية، و(بنت ناس) .

عــبودة : انتهـــي كل شيء – عواطف اتخطبت ، مش لازم (جيل) دلوقتي.

يدخـــل موظـــف أشعث الشعر يرتدي بنطلون جينز وقميص قديـــم يقـــول: ياجماعـــة اســـمعوا حيزورنا الدكتور ماهر زكي الطويحي حيقدم لنا محاضرات في البحث العلمي .

موظفة : البحث إيه ؟ الموظف : العلمي

الموظفـــة : يعنـــي إيـــه الموظف : علمي علمك لقد أرسلنى المدير حتي أبلغكم بالأمر ..

موظفـــة : وهل هذه المحاضرات حتوفر لنا مكافآت (يعني قرشين كويسين) ؟

الموظف : طبعا ، المدير أعتمد ١٠٠٠٠جنيه لاستقبال الدكتور ماهر – و مكافآت للموظفين لشراء ملابس (نضيفة) – و حفلات (محصلتش)، لابد أن نظهر بالشكل المشرف .

موظف : وحفلات الغدا فيها لحمة ؟

الموظف: لحمة وجاتوه ياجاهل ، لابد أن نظهر بأننا مهتمين بالبحث العلمي – كل المصالح اللي زارها الدكتور ماهر عملوا حفلات كبيرة تليق بالبحث العلمي. (ينخفض صوت الموظف وهو يشرح للموظفين) – يمر وزير الحكمة بميكرفون بين الموظفين ويصيح قائلا : من وزير الحكمة إلي العاملين في كل مكان ، أعرف إنكم مهتمين بالجمال والتجميل وهذا شيء رائع (يلف ويعود) أبلغكم أننا سوف ننظم مهرجان علي ضفاف نهر (توتة) العظيم لترشيح أجمل الجميلات لنهرنا الجميل – وطبعا الآن عندكم خبرة كبيرة في الجمال (بصوت مرتفع) – حنفجر عصر جديد ، بدلا من عصر الاتصالات والإنترنت والمعلوماتية حننطلق إلي عصر الجمال والتجميل – صيحة العصر الجديد.. يخرج وزير الحكمة .

موظفة : المخبل دا بيقول إيه ؟ الجمال ممكن نفهمه – إنما إيه المعلوماتيه ؟ يمكن يقصد الملوخيه (ضحك)

موظف المدير : خليكم معايا اللي يهمنا دلوقتي في مقابلة الدكتور ماهر كل واحد ييجي معاه كشكول وقلم – وكمان شوكه وسكينه .

موظفة : ليه ياسيدي ؟

موظف المدير : لتخفيض نفقات الندوات وبدلا من شراء شوك وسكاكين للأكل ممكن باقي العشرة آلاف جنيه تتوزع مكافآت للحضور – (شغلوا مخكم) . .

يدخل الدكتور ماهر ومعه مدير المؤسسة ، الموظفات جالسات كل واحدة كاملة المكياج والمساحيق الصارخة علي وجهها .

مدير المؤسسة : أنا بصفتي مدير المؤسسة ، بإسم جميع العاملين بها بنرحب بك طبعا ، المكان هنا ضيق شوية والمكاتب (مزنقة).

د.ماهر : صحيح المكاتب دخلت هنا إزاي ؟

مدير المؤسسة : الظاهر يا دكتور وضعوا المكاتب وبنوا حولها (الحيطان) .

د. ماهر ضاحكا : لابد أن المكاتب بتتفك وتتركب – علي كل حال ياجماعة نريد أن نعرف مصلحتكم ومصلحة بلدنا – لا نريد اليأس مهما طال الوقت ، المهم نضع إيدينا علي الطريق الصحيح .

مدير المؤسسة : والآن ندعوك لتناول الغداء علي شرفكم ثم ندعوك إلي حفل غناء قام به العاملين بالمؤسسة حتي نضع (رجلينا) كما قلت سعادتك علي الموهوبين والمبدعين .

صوت غناء : عايزين نبأه علميين

زي بلاد المحظوظين

يالالا ياعالم خد بإيدينا •
وامحي الجهله من وسطينا
دا صوت العقل بينادينا
دا المستقبل والله لينا

تكرار الأغنية ثم صمت.

يحاول الدكتور ماهر التحدث : كل دا جميل- المشكلة اللي بتواجهنا أن الصناعة في بلدنا إلي حد كبير بتعتمد علي استيراد المعرفة ،يعني ليس لدينا آليات لتوليد وإنتاج المعرفة اللي بنحتاجها ، لازم يكون عندنا صناعات كثيفة المعرفة ، مش بس كثيفة المواد الخام.

موظفة : بصراحة أنا – أنا فهمت بس كلمة توليد يعني أعرف توليد الأم والطفل –لكن – يعني قصد حضرتك نعمل مستشفيات للتوليد لضمان صحة الطفل ؟..

موظفة : كثيفة المعرفة – حضرتك إحنا عارفين كثيفة الشعر أو الشعر الكثيف – لكن كثيفة المعرفة .. صعبة شوية.

د.ماهر : ياجماعة مستعد التقي بكم دايما لتنظيم البحث العلمي – يا جماعة البحث العلمي مشتت – حنحاول نبسط الأمور، حنحاول نفهم مع بعض – إدوني فرصة معاكم ، لازم يكون عندنا هدف ، كيف نحول المعلومات إلي معرفة مفيدة ..

يأتي وزير الحكمة بالميكرفون : من وزير الحكمة إلي أعزائي موظفي المؤسسة الكرام – لقد تحدد بالفعل تاريخ

المهرجان الموعود – أتعرفون أيتها الجميلات ، في منتصف الشهر العربي القادم – في ليلة قمرية بديعة – واحدة منكن حتدخل التاريخ – الجميلة اللي حترمي نفسها في النهر ، حنصورها (فيديو) آه والله حتطلع في التليفزيون ..

يخرج وزير الحكمة وهو (يخرج لسانه)

الدكتور ماهر في غضب : أنا ماشي

تقف فتاة وشاب : دكتور ماهر خدنا معاك – من فضلك عايزين نفهم يخرج دكتور ماهر ومدير المؤسسة والفتاة والشاب .

موظفة : روحوا معاه روحوا – لن تتزوجوا أبدا– توليد وكثيفة – و ..

يعود وزير الحكمة بالميكرفون : علي فكره فتاة النهر المقصودة – متزوجة أو مش متزوجة أرملة ، مطلقة – مش مهم – مين ياترى حتكون عروس النهر الخالد ؟ (يخرج)

موظفة : يانهار أسود ليكون الموضوع بجد وحقيقي ايه الحكاية...!

وزير الحكمة يعود مرة أخري : طبعا بجد أختي المواطنة العزيزة – إذا فزتي وأصبحت(جثة) للنهر – قصدي عروس النهر بجمالك وحسنك سوف تكوني نجمة التليفزيون – والصحف والإذاعة والسينما(يخرج)

موظف : ليس (كلام) – ليس مجرد(كلام) – دا بجد – أنا عارف المصايب دايما بتكون بجد – ارموا – ارموا حاجات الذواق دي في (الزبالة) – ارموا – ارموا.

موظفة : تجميل وجمال إيه – انا حتي (وشي) إسود أكيد حيختاروا واحدة (بيضة)

موظف : لا ياحبيبتي ، ملكة جمال العالم بيختاروها دلوقتي من السود (هبابة) يا (مهببين).

يدخل الوزير بالميكرفون : مهرجان السياحة والتسوق – سوف تقام(بلوكات) لبيع مستحضرات التجميل بأرخص الأسعار علي ضفاف نهر توتة ..

موظفة : فين أخونا (بتاع العلم) دكتور العلم ؟ ، دكتور ماهر

كلهم في نفس واحد : دكتور ماهر يادكتور ماهر...

المشهد الثالث

هامش مسرحي

صورة خلفية للنهر (نهر توتة) – كاميرات صحافة – يقف الرئيس محروس زايد – وزير الحكمة – د. رضوي .

الوزير جكيم : سيدي الرئيس منذ نبتت الفكرة في مكتب سعادتك شكلنا لجنة للتقصي والتفتيش وقدموا لنا منذ الصباح الباكر قوائم بأسماء الجميلات – وطلبوا منهن أن يسلمن أنفسهن لرئاسة الجمهورية – بصراحة قمنا بالقبض عليهن ، وبعد قليل سوف يظهر هنا طابور الجميلات .

يظهر مذيع في يده ميكرفون مكتوبا عليه (الفضائية للجمال)

يصيح المذيع : ها نحن سيداتي وسادتي أمام نهر توتة – ومن موقع هذه الجمهورية التي قامت بتجربة رائدة لحفز الشباب علي طلب العلم ، والحديث الآن مع رئيس الجمهورية الرئيس محروس زايد : سيادة الرئيس ما رأيكم هل ستنجح التجربة؟

الرئيس : لقد كانت مجرد دعاية ، دعاية فقط – ولكن الموضوع تحول إلي حقيقة ... الحقيقة بيني وبينك هذا الموضوع سوف يساعد علي إنعاش السياحة كما تري الآن (إمسك الخشب).

المذيع : ما شاء الله سعادة الرئيس ، إنعاش حقيقي للسياحة.

يـتوجه المذيع إلي وزير الحكمة : سيادة الوزير هل ستنجح التجربة ليقبل الشباب علي العلم ؟

الوزيـــر : الحمـــد لله – وبإذن الله ربنا وفقنا – وفي الخطة القادمــــة خـــلال العشر سنوات القادمة بإذن الله حيكون لدينا خطة للقضـــاء علــــي الجهل والسير قدما بإذن الله ولا حول ولا قوة إلا بـــالله – وعـــندما نقضــي علي الجهل سوف يرفع ذلك من شأن جمهوريتـــنا العظيمة بإذن الله – والخطط مستمرة – والاجتماعات قادمـــة – والـبدلات حـــتزيد – بـــدلات الاجتماعات ، وحنكثف الاجـتماعات – بفضـــل الله – والحكاية تحولت إلي حقيقة بفضل رئيسنا المحبوب محروس زايد .

المذيـــع : من موقع نهر توتة ، صابر الأسيوطي – الفضائية للجمال – قطاع الأخبار .

المذيع : والآن نتوجه إلي صوت العلم – الدكتورة رضوي – إيه رأيك في التجربة ؟

د.رضوي : اللي بيحصل دا إرهاب – تخويف – بدل ما نقدم تسهيلات ونوفر معامل ، ونقدم مساعدات مالية ، بنعمل تخويف .

المذيع (يهز جسمه بطريقة مضحكة) ويقول : بمعني ؟

د.رضـــوي : يعني لما نخوف من الجمال – الشباب حيجري علي العلم مش ممكن – مستحيل.

المذيع (يهتز مرة أخرى) : توقعاتك ؟

د.رضوي : أتوقع مهزلة (ترفع صوتها) مهزلة إنسانية .

المذيـــع : مـــن موقع نهر توتة تري ماذا تحمل لنا السويعات القادمة ؟.صابر الاسيوطي الفضائية للجمال – قطاع الأخبار.

الوزيـــر حكيم يتوجه إلي المذيع : انت عمال تلف علينا واحد واحد ، وتترثر هنا وهناك و (تأرر فينا) – إنت مين بالضبط ؟

المذيع : يا فندم إحنا ..

يقاطعـــه الوزير :(بلا فندم بلا مندم) – عايز تقول كلمتين حلوين في الريس وفي الحكومة أهلا وسهلا ، عايز تقول (كانى ومانى)، أنا حاشجبك ، اسكت ساكت ..ساكت اسكت.

يـــنظر المذيـــع إلي الدكتورة رضوي التي تنظر بقرف إلي وزير الحكمة .

الوزير : انت بتبص فين – معندناش ستات يتبصلها – ساكت اسكت....

يدخـــل ســـكرتير الرئيس وعلي فمه الكمامة (كما ظهر في المشهد الأول) يتوجه نحو الرئيس.

الرئـــيس : جـــاي لـــيه ، و (حاطط الهبابة دي علي بقك ليه دلوقتي) هو احنا في المكتب ؟!

السكرتير يشير بيديه انه يريد التحدث في أمر هام.

الرئيس : عايز إيه – انطق

يشير السكرتير إلي (الكمامة) علي فمه ويحرك يديه.

الرئيس : انطق – شيل (الهبابة) وانطق .

الوزير : اسمها (ماسك) بلاش كلمة (الهبابة) – العالم كله بيصور – والجمهور قاعد (يشير للجمهور) .

يرفع السكرتير (الكمامة) من علي فمه : سيادة الرئيس أصحاب مصانع مستحضرات التجميل عاملين مظاهرات ، وبيقولوا انهم خسروا ٢ مليون جنيه الشهر اللي فات – الستات بطلوا يشتروا – حنعمل ايه ؟

يتوجه المذيع بسرعه نحو السكرتير ويحاول الوقوف معه .

الوزير يصرخ : (حط الكمامة) بسرعة – وانت (للمذيع) ساكت اسكت. يشير الرئيس إلي السكرتير بيديه بالانصراف ويجري وراءه المذيع ويخرجان من المسرح .

تقف د. رضوي مع الرئيس يتهامسان– يتقدم وزير الحكمة في الجزء الأمامي للمسرح أمام الجمهور و (يكلم نفسه) : انا خايف – البنت ولا الست اللي حترمي نفسها دي – أهلها حيرفعوا علينا قضية – يانهار مش فايت و ولجنة حقوق الإنسان– حيسيبوا العراق وفلسطين وييجوا جري علينا ، معرفوش يسلكوا هناك ، طبعا حيسلكوا معانا – أنا في حلم ولا علم – الموضوع دعاية ولا جد– والله احنا عاملين مسابقة للجمال فيها حاجة دي ؟ لأ مفيش– علشان الناس تبعد عن الجمال وتقرب من العلم فيها حاجة دي ؟ لأ مفيش بس أجمل واحدة حترمي نفسها في النهر ، فيها حاجة دي ؟ أيوه فيها قال إيه واحدة حتغرق ، والباقي حيروح علي العلم فيها حاجة دي ؟ قولوا لي ياجماعة (يشير للجمهور) فيها حاجة دي ؟

ينادي رئيس الجمهورية علي الوزير حكيم : ياحكيم بنادي عليك وانت مش سامع – وشايفك بتكلم نفسك – اتخبلت ولا إيه ؟

الوزير : أيوه – لأ يافندم – كله تمام – العرض جيدأ حالا.

يدخل المسرح طابور (حوالي ١٠) فتيات من الهياكل الفحمية كبيرات الانوف – هرميات الصدور قبيحات الوجوه

الرئيس : إيه ده ؟ ايه اللي حصل ياوزير الحكمة ؟

الوزير في فزع : دي كارثة – كارثة ، يعني – يعني حنقوم بالدراسة والفحص والتمحيص..

الرئيس : شورتك المهببة واضحة – واضحة جدا قدامي– أجمل واحدة حترمي نفسها في النيل– والباقي حيجري علي العلم – مش دا كلامك ياوزير الكوارث .

الوزير : بصراحة مش شايف حد جميل ولا حاجة – كلهن جهلة يافندم – لكن –لكن عندي حل ينقذ الموقف..

الرئيس : ما هو الحل – أكمل المصائب – انطق..

ينظر الوزير حكيم إلي الدكتورة رضوي في صمت ثم ينظر رئيس الجمهورية إلي الدكتورة رضوي – يقترب (أكبر عدد من الواقفين علي المسرح) ينظرون إلي الدكتورة رضوي.

الوزير : الدكتورة (يتكلم بسرعة) الدكتورة رضوي هي أجمل واحدة هنا – و.. وممكن تنقذ الموقف . (الجميع مازالوا ينظرون إلي الدكتورة رضوي)

د. رضوي : طبعا المهزلة بدأت – زي ما توقعت بالضبط

يدخل د. ماهر : دلوقتي بس شفتم الجهل علي حقيقته .

(يشير الرئيس إلي الوزير حكيم كي يقف في نهاية المسرح وظهره إلي الجمهور)

د.ماهر : نحاول تاني وتالت ورابع– شوفوا التعليم – وفروا معـامل ومكتبات – وماكينات تصوير في كل مكان للبحث.. أكيد الـناس عـندها فضول كبير للبحث العلمي ، لكن لازم نيسر لهم الطريق

الرئـيس : إنت ايضا كنت بعيد– بعيد – والناس مش فاهمه اللى إنت بتقوله، استخدمت اللغة اللي فوق الناس ...

(يخرج طابور الفتيات في صمت بمصاحبة موسيقي جنائزية)

د. ماهـر : حـنحاول نبسط الطريق للبحث العلمي – المهم يكون فيه استعداد نفهم بعض .

الرئيس : أبق معنا من أجل خاطري وخاطر نهر توتة

(يصـطف د.ماهر –د. رضوي– رئيس الجمهورية) غناء مسموع للجمهور من خارج المسرح :

عايزين نبأه علميين

زي بلاد المحظوظين

ياللا ياعالم خد بإيدينا

وامحي الجهلة من وسطينا

دا صوت العقل بينادينا

دا المستقبل والله لينا

تكرار الأغنية

ستار

جلسة المناقشة والحكم

(ابتكار محلي)

هامش مسرحي :

قاعــة لمناقشة رسالة الدكتوراه المقدمة من الباحث (عبود أحمــد عمــر) – موضوع الرسالة معلق في يافطة علي الحائط مكتوبا عليها (الديمقراطية– الرأي والرأي الآخر) يجلس عدد من الحضــور بعضــهم مــن(البلاد العربية) وبعضهم من (الصعيد والريف والحضر).

يجلــس الباحــث عــبود علي جانب من لجنة التحكيم مرتديا الــروب الأســود والمحــدد بكنار عريض أصفر اللون ، ويجلس الســادة المحكميــن وعددهــم ثلاثة – يلبسون الأرواب السوداء والمحــددة بكنار عريض أصفر اللون – التليفزيون يصور جلسة المناقشة والحكم والتي تتم بطريقة جديدة .

رئيس لجنة المناقشة : قدم لنا الباحث (عبود أحمد عمر) ديــباجة موجــزة عــن موضــوع رسالته للدكتوراه بعنوان (الديمقراطــية – الرأي والرأي الآخر) ، ونحن إذ نطبق تجربة فــريدة مــن نوعها في مناقشة الباحث ، حيث لا تقتصر المناقشة علــي لجــنة التحكيم فحسب ولكن أيضاً تمتد إلي السادة الحضور الذيــن يقومون بمثابة (المحلفين) في مناقشة الباحث والمشاركة الفعالة في إصدار الحكم علي رسالته وما إذا كانت تستحق درجة ممتاز أو جيد جدا أو جيد .

ولما كانت هي التجربة الأولي من نوعها فقد وضعت (لجنة الابـتكار) معايـير – وذلـك لضبط اشتراك أعضاء (جمهور المحلفين) ، وكانت هذه المعايير هي :

١– تسديد مبلغ وقدره خمسمائة جنيها وذلك لاستخراج كارنيه المحلفين .

٢– الإقامة في دار الضيافة لمدة الشهر الذي يسبق المناقشة .

٣– العزل الكامل عن الأهل والأقارب

٤– أن يكون الاشتراك متاحا لكلا الجنسين

٥– أن يكون من جنسية عربية أو محلية .

والآن أيها السادة فلنبدأ في فتح باب الحوار ...

نعـم السـيد الذي يجلس هناك ، الذي يرفع يده .. نعم الذي يلـبس الجلباب الأبيض يقف الرجل الذي يلبس الجلباب الأبيض ، ويضـع نظـارة سوداء مستديرة علي عينيه : يا عبود متي نبتت الفكرة لديك في هذا الموضوع ؟

عـبود فـي تـأفف : إحـنا حنبدأ من (نبتت) ! أدخل في الموضـوع يعود الرجل لكي يسأل عبود : أجب ، لا تنسي أنني دفعت الرسوم ، هل نبتت الفكرة بعد الحرب العراقية و ....

رئـيس لجـنة المناقشة مقاطعا : من فضلك يا سيد – حاول التركيز علي لب الموضوع .

الرجل : سوف أعاود السؤال لاحقا .. شكرا (يجلس)

يشير رئيس اللجنة إلي سيدة عجوز من المحلفين تقف وتقول:

كنـت أتمنـي سيادة الرئيس بصراحة وبمنتهي الصراحة أن تحـترم (لجـنة الأبـتكار) التـي دعت إلي وجود (محلفين) للمشاركة في مثل هذه الجلسات أن تختار أنواع جيدة من الأطعمة التي تقدم لنا نحن المحلفين ...

أحـد المشاركين مَن الأساتذة في لجنة المناقشة : ماذا تقولين أيتها السيدة المحترمة عن (لجنة الأبتكار)

السـيدة : لم نتناول خلال ذلك الشهر سوي أربعة مرات فقط من اللحوم الحمراء والبيضاء (تكاد السيدة تبكي) وبقية الشهر ، إنتم تعرفون طبعا – الفول– والفلافل – والكشري..

يقف آخرون من لجنة المحلفين – وتداخل الأصوات :

نعم ، هذا صحيح – كيف نشارك في الحكم مع نفخ بطوننا لمـدة شـهر ! – نريد أن نري الميزانية المخصصة لإقامة المحلفين ...

يقف الأستاذ الثالث في لجنة التحكيم : وقف تصوير – وقف تصوير التليفزيون – بلاش فضايح ...

يـنقر رئـيس اللجنة بشاكوشه علي المنصة – يجلس الجميع ويصمتون تماما لبضعة ثوان – يدخل عسكري من الشرطة يقول بصـوت مـرتفع : السـيد (س) مـن (لجنة الأبتكار) يريد الاطمئنان علي سير المناقشة – اتفضل يافندم يدخل السيد (س) فـي لحظة هدوء شديدة تمر بها الجلسة ويصيح مبتهجا : يبدو أن كل شيء علي ما يرام – لا توجد مشاكل ...

(يخرج س وهو يهمس لنفسه الحمد لله – الحمد لله ..)

يـتحدث رئيس الجلسة : أيها السادة والسيدات ، نعرف أنكم دفعـتم الرســوم كاملـــة وهو الشرط الأول والرئيسي لقبولكم في عضوية التحكيم وذلك لضمان الجدية كما تقولون – ولكن أرجوكم الــتزموا بمناقشـــة الباحث في موضوع رسالته .. الأستاذة هناك اتفضلي :

تقف سيدة تلبس (ايشارب) يغطي شعرها – تظهر باقة من الشعر الأصفر تتسدل علي جبينها – وترتدي البنطلون (الجينز) تعلوه سترة حمراء قصيرة جدا .

تقول فيّ (تمايع) بعض الشيء : نرجو من الباحث أن يعيد بإيجـاز المشـكلة التي تناولها في رسالته ... هناك بعض الأمور (الغامدة) – و (المسطلحات) غير المفهومة .

يدخل مصور التليفزيون : هل نبدأ التصوير يا فندم ؟

رئيس الجلسة :أبدأ التصوير – الباحث يتفضل أمامنا ويشرح بإيجاز وجهة نظره كما طلبت السيدة .

يقف عبود أمام لجنة التحكيم مواجها لجمهور المحلفين :

مشـــكلة البحـث باختصار أنه من خلال قراءاتي ودراستي ، وجدت أن هناك حالة من التشدق الدائم بمفهوم يتردد كثيرا ويؤكد أنــه قـد تحقق في عالمنا العربي بوجه عام وهنا بشكل خاص ، وهو مفهوم الديمقراطية .

يســير عبود – يأخذ الميكرفون من فوق الطاولة ويتجه إلي أحد أطراف المسرح ، يدخل رجل يبدو في الأربعين ، غير مهندم الملابس – أشعث الشعر ويوجه عبود الحديث إليه :

قل لي إيه رأيك في الديمقراطية ؟

الرجل : هو حضرتك لامؤاخذة من بتوع التجنيد ؟

عــبود : أنـــا باســألك عـــن الديمقراطـــية– إيــه رأيك في الديمقراطية ؟

الـــرجل : لمؤاخـــذة ، احنا مستعدين للتجنيد والحرب – ايوه ورئيسنا أحسن رئيس – لمؤاخده يعني حضرتك مين ؟

عبود : اسمي عبود وباعمل رسالة دكتوراه عن الديمقراطية، يعنـــي لإنك تنتخب ، قصدي تختار المواطن اللي يوصل مشاكلك للحكومـــة – أو مـــثلا تـــروح بنفسك المجلس المحلي وتتكلم عن مشـــاكل الحي بتاعك – أو رأيك في مرشح دايرتك – يعني تقريبا كده .

الـــرجل باستغراب : لمؤاخذه يعني ، أنا عايز أخدمك ، قول اللـــي أنت عاوزه ، أنت باين عليك متعلم كويس ، وأنا يدوب .. لمؤاخذه ...

يخـــرج الرجل ويعود عبود : وهكذا كانت ردود عينة البحث في مواقع مختلفة .

أحد المحلفين : يعني العينة كلها جهلة ، مفيش حد متعلم ؟

عـــبود : هناك نموذج آخر من المتعلمين جدا ، زميلة لي في المدرسة التي أعمل بها ...

يـــتوجه عـــبود إلي طرف المسرح وبيده الميكرفون وتدخل الأستاذة فاطمة عبود : إيه رأيك يا فاطمة في الديمقراطية ، يعني حكم الشعب بالشعب ، يعني التعبير عن الرأي بحرية ؟

فاطمة : إحنا مش فاضيين هنا يا عبود ، وكمان أنت عارف ايه اللي بيحصل في اجتماعات المدرسة ، نقول مهما نقول .. النتيجة واحدة – رأي الموجه والناظر هو الكل في الكل – هيه ربنا يرزقنا بناس كويسين يصلحوا المايل – رأينا دايما في الهوا...

تخرج الأستاذة فاطمة ويعود عبود في مواجهة المحلفين .

يقف أحد المحلفين : يا سيدي إحنا قرينا كل حاجة في الرسالة بتاعتك ، يعني قصدك .. قصدك إن الديمقراطية (مش حتنفع) هنا ابدا ؟! .. يعني هيصة وفرجة وحكومة ومعارضة وبعدين رأي الحكومة هو هو .. مابيتغيرش ..

صوت صراخ يعلو من إحدي المحلفات يبدو أنها حامل : عايزه أخرج

هرج ومرج من المحلفين

واحد منهم : السيدة عايزه تولد

ثان : من حقها تخرج – دي حالة استثنائية

ثالث : ممنوع – ممنوع ، دي مش موجوده في المعايير، الشروط بتقول إن المحلفين معزولين تماما حتي ننتهي من مناقشة الرسالة .

أحد الأساتذة علي المنصة : الست حتولد علي نفسها

رئيس الجلسة بين الغضب والسخرية : لجنة الأبتكار كان كل همها تحصيل الرسوم .. حاولي ياست تستحملي ..

أحد المحلفين : ما تسألوش فيه ، أخرجي يا مدام .. أخرجي..

تقوم سيدتان لمساعدة السيدة الحامل ويخرجن من المسرح .

رئيس الجلسة موجها كلامه إلي مصور التليفزيون : امسح (الحتة) اللي فاتت دي ، لجنة الأبتكار منتظرة نتيجة هايلة – سامع ...

يومىء مصور التليفزيون علامة الموافقة ..

يستأنف الباحث عبود حديثه : السيدات والسادة ، علي مدي ثلاث سنوات قمت بتجربة دقيقة جدا مع تلاميذ الفصل – كل شهر كنت أقوم بإعداد اختبار مكون من سؤال واحد ، له إجابة واحدة فقط – وأطلب من التلاميذ الإجابة عليه ... وكانت الإجابة الصحيحة دائما تأتي من عدد قليل من التلاميذ ، حوالي الثلث – أما الثلثين فكانت إجاباتهم خاطئة . هذا يعني أن الصواب يأتي من الأقلية ، والخطأ ياتي من الأغلبية ، يعني الأذكياء أقل عددا بكثير من مجموع التلاميذ .

يصيح أحد المحلفين : ولكنك لم تتوصل إلي أن الديكتاتورية هي الحل – أوهل تعني العودة إلي انفراد الأقلية بالحكم ؟

عبود : أقصد أن بلادنا يناسبها حكم الصفوة و ....

أحد المحلفين يلبس طاقية وجلباب أزرق (يبدو من الصعيد): إسمع يا عبود (جلت) الصفوة ، ومليت منها عشر (ورجات)

كـتابة – كـتابة ، وأخرتها معرفناش حتجيبها منين الصفوة دي؟ من بلاد برة ؟!

عبود : ممكن أوضح أكتر .. هناك مدارس في الديمقراطية ، إمـا تعدد المجالس التي تمثل الشعب في مختلف المجالات والتي تقـوم علي استطلاع آراء المواطنين عن طريق مراكز الأبحاث العلمـية، ثم تقوم بتحليلها ووضع الخطط الاقتصادية علي أساسها .. وهـذا بالطبع مستحيل عندنا في الوقت الراهن – وهناك حكم الصـفوة ، أي القلة المستنيرة والتي تقاس درجة نجاحها في إدارة شئون البلاد من خلال التنمية وارتفاع دخل المواطنين .

أحـد المحلفيـن : رد علـي سؤال الزميل ، حتجيب الصفوة منين؟

عـبود : المهـم المبدأ ، يعني اختيار المدرسة اللي حنمشي عليها ونبني بعدها خطة الأختيار ..

أحـد الأسـاتذة : ذكرت يا عبود في الفصل الخاص بالإطار الـنظري أن معظـم الحضارات نبعت من حكم الصفوة ، أو حكم الفئة المستنيرة ، ولكنك لم تحدد معايير اختيارها ، فمثلا كما نري الآن تكليف محلفين لتوسيع جودة الحكم علي رسالتك .

عبود بسخرية وبصوت مرتفع : واضح .. واضح جدا ...

أسـتاذ آخر من لجنة التحكيم غاضبا : ليس من حقك التهكم علي التجربة .

تعود عسكري الأمن : الأستاذ (ص) من (لجنة الأبتكار) اتفضـل يافندم يدخل الأستاذ (ص) بدين جدا – يلبس بدلة وفي

حالـة غضب: ماذا حدث ! لن أسمح بفشل التجربة – أرجوكم ، احـنا بنكتـب الآن الـتقرير النهائـي للتجربة ولابد أن تكون قد نجحت، كيف سمحتم للسيدة بالخروج ؟! إزاي ! كيف فعلتم ذلك !

أحد الأساتذة علي المنصة : أية سيدة ؟

الأستاذ (ص) : السيدة التي خرجت تثرثر – والتي توجهت إلـي المستشـفي – والمصـيبة – المصـيبة إن معها سيدتان من المحلفين – كيف سمحتم بتسرب التجربة قبل اكتمالها ؟!

ألا تخجلـون من أنفسكم ! قربنا ننجح ، ونثبت للعالم أن لدينا أصالة فكرية ...

(هرج ومرج)

رئيس الجلسة يصرخ : أوقف التصوير – أوقف التصوير

الرجل الصعيدي : صحيح يا أستاذ ص ؟

يلتفت الأستاذ (ص) إلي مصدر الصوت وبلهجة حادة : صحيح إيه ؟

الـرجل الصعيدي : أصالة – أصالة حتيجي .. حتجول (جد الحروف) ولا .. هي (جريبة) عبود ؟

يخرج الأستاذ (ص) بسرعة وقد تملكه الغيظ بشدة

يطـرق رئيس الجلسة علي المنصة (بالشاكوش): اسمع يا عـبود حـنديلك فرصة تشرح وتوضح الهدف من رسالتك لآخر مرة.

عبود : إن أكبر دليل علي صحة نتائج رسالتي هي واقع هذه الجلسـة الموقـرة ، في فترة تاريخية ما من حياة الأمم – عندما

تستيقظ من غفوة طويلة جدا تساقطت خلالها كل أسباب النهضة ، لابد أن تبزغ النخبة – مجموعة من المستتيرين تمتلك الحس الوطني تمثل فئات المجتمع المختلفة ، تقوم علي وضع خطة جديدة لتكون بداية لعصر جديد ... والدليل علي ذلك أن عهد محمد علي منذ عام ١٨٠٥ هو نقطة فاصلة بين البدائية والتخلف وبداية عصر النهضة في مصر أو ما أسميناه تاريخ مصر الحديث، والذي سبقه التمسك بتعليم الكتاتيب وإغفال العلوم الحديثة في كافة المجالات .

(تفرغ أفواه المحلفين وحالة صمت وسكون)

يقوم أحد الأساتذة من علي المنصة ويصيح : اسمحوا لي أن اطلب استدعاء (لجنة الابتكار) ، لابد أن تشارك معنا في تطبيق تجربتهم (بصوت عال) تجربتهم الحمقاء ..

(مازال المحلفين فارغي الأفواه وفي حالة صمت)

ينادي رجل الشرطة من خارج المسرح : السادة الحضور من لجنة الإبتكار .. السيد (س) اتفضل – السيد (ص) اتفضل

يدخل الأستاذ (س) ، والأستاذ (ص)

يفيق المحلفون ويقومون بالتصفيق الشديد

(ص) : ايه ده بتعملوا ايه ! ماهذا التصفيق !

أحد المحلفين يتحدث ببطء شديد : إتعودنا علي كده – مادام فيه مسئول داخل علي الجمهور اللي هو احنا ، لازم (نصفق)

(س) : أشعر أن هناك بعض التعثر في استجاباتكم ، ألم تقرأون الرسالة بعناية ؟ أنتم في موضع مسئولية كبيرة – تركتم بيوتكم وصغاركم – وأتيتم ...

أحد المحلفين مقاطعا : بالبلدي عايزين تعملوا ابتكار أي حاجة !

ممكن واحد يمشي يرقص ويطبل في الشارع علشان يبتكر (ماشية) جديدة مثلا ويقول إنها (ماشية مبهجة)

(ص) : أنت بتخرف – مش فاهم !

رئيس الجلسة : لقد وصلت سعادتك إلي بيت القصيد – ماذا تقصدون (بالأصالة) في تجربتكم ، نعم الأصالة التي ذكرتموها منذ دقائق ...

(ص) : مع إن ذلك خارج الموضوع ، لكن لا مانع من التوضيح – الأبتكار هو خلق شيء جديد لم يحدث من قبل ، قد يكون اختراع أو فكرة أو مشروع ، بشرط أن يعود بشيء من الفائدة علي الفرد أو المجتمع أو البشرية بشكل عام ، بمعني أن أصالة الأبتكار لفظ لا يمكن إطلاقه علي شيء غير مفيد ..

رئيس الجلسة : دعنا نطبق هذا المعني الجميل علي ما نحن فيه الآن

(س) : المحك هنا هي التجربة والتي لم تكتمل بعد ...

رئيس الجلسة : ما هي الفائدة التي تعود علي المجتمع من تجربة المحلفين ؟

(س) : أن نـتعود تطبـيق الديمقراطية من أوسع الأبواب ومشاركة كل فئات المجتمع في اتخاذ القرارات ..

رئـيس الجلسة : وهل يصلح ذلك في البحث العلمي ! هناك خلط في الأمور سيدي الفاضل ...

(يـنظر رئـيس الجلسة أمامه ، تدخل السيدة التي كانت في حالة حمل وقد انتهت من حالة الوضع وعلي كتفها المولود)

السيدة : تسمحوا لي أن أعود للمشاركة – من حقي العودة ..

(ص) : أي حق – اطلعي بره .. بره ..

(هرج ومرج)

أحد المحلفين : لا توجد في اللائحة والمعايير أي شيء يمنع السـيدة مـن الدخول وهى من المحلفين : لا يمكن أن نبني نظام المحلفين علي الاضطهاد تفضلي بالدخول ياأختي ..

عـبود : اسـمحوا لـي من حقي الكلام يا ناس – آسف .. (ينحني قليلا)

اسـمحوا لـي أسـاتذتي بالكلام – من الممكن أن نأخذ رأي المحلفيـن عـن طريق الاستفتاء (السري) إما بنعم أو لا – هل تدخـل السـيدة والطفـل لأن اسـمها مقيد في لجنة المحلفين أم (تطرد) نهائيا ؟

المحلفين : موافقة – موافقة – موافقة ..

رئـيس الجلسـة : أوافـق علي فكرة عبود – والآن توزع كـروت علـي المحلفين لإبداء الرأي – (بصوت عال) إما نعم لحضور السيدة والطفل – وإما لا

(تقف السيدة في جانب من المسرح وهي تهدهد الطفل)

(يقوم عبود بتوزيع الكروت بسرعة ، وينهمك المحلفون في الإدلاء بـرأيهم) ... تـرفع السيدة التي تحمل الطفل إحدى يديها هامسة يارب .. يارب ينظر الأستاذ (س) والأستاذ (ص) إلي رئـيس الجلسـة تارة والي المحلفين تارة أخري وعلي وجهيهما علامات الغضب والغيظ محاولين الصياح ، ولكنهما يتراجعان في اللحظة الأخيرة.

يبتسـم عـبود ويـنظر إلـي الجميع وكأنه في حالة انتصار لنظريته البحثية.

رئـيس الجلسة : أرجو أن يتولي أحدكم جمع الكروت ويأتي بها علي المنصة .

صياح من المحلفين : أنا أقوم بذلك

– لا أنا الأقرب للمنصة

تصيح سيدة : وانا لأ ليه – احنا دايما مضطهدين كده !

السيد (س) : خلاص ، مش معقول حنعمل إقتراع مين اللي يلـم الكـروت – تعالي (ينادي علي رجل الأمن) : ادخل اجمع الكروت وسلمها لرئيس الجلسة

(يقـوم رجـل الأمن بجمع الكروت بسرعة ويسلمها لرئيس الجلسة)

تقـوم لجنة الحكم والمناقشة بفحص الكروت ، وأثناء الفحص يعلو صوت السيدة التي تحمل الطفل : يارب – يارب – يارب

يقـف رئـيس لجـنة الحكم ويصيح : سكوت – سكوت من فضـلكم ، الذيـن قالوا لا لحضور السيدة ويتفقون مع رأي لجنة الأبـتكار واحد فقط – واحد فقط (بصوت مرتفع) واحد فقط قال لا

أما الباقي موافقين علي حضور السيدة

(زغـاريد وهـرج ومرج – يحاول رئيس الجلسة السيطرة علي الفوضي)

عـبود : هكذا سيدي الرئيس – هكذا أيها الأساتذة الكرام ثبت بالتجربة العملية الواقعة أمامكم صحة ما توصلت إليه من نتائج، مجتمعنا في حاجة إلي (حكم الصفوة) ومع احترامي لجميع الحضـور ، ومع احترامي لأعضاء لجنة الابتكار فإن هذه (يغير في نبرات صوته) الأصالة ما هي إلا (فوضي ابتكارية)

السيدة التي تحمل الطفل في غضب : فوضي إبتكارية قصدك أنا برة مش كده – لكن أنتم كمان برة –

تصـيح أثـناء خـروجها من المسرح : أنا حرفع قضية رد اعتـبار – كلكم لازم ترفعوا قضية رد اعتبار ، ياللا يابني نخرج من هنا ...

رئـيس الجلسة : أيها السادة أعضاء لجنة الأبتكار – التجربة فشـلت ، فشـلت ، ولا حققت إبتكار – ولا حققت أصالة ولكن – ولكن حققت للأسف ادعاءات غير مدروسة ، ومعايير غير مناسبة لهؤلاء السادة المحترمين والمحترمين جدا .

شـكرا لكـم أيها السادة علي حضوركم ، قررت لجنة الحكم والمناقشـة مـنح الباحث عبود أحمد عمر درجة الدكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف .

(يـنظر للجمهـور) : شـكرا لحضوركم معنا هذه الجلسة الفريدة من نوعها ، شكرا لصبركم وطول نفسكم والي اللقاء .

صابر يبحث عن الدواء

عام ٢٠٩٠

قصة من الخيال العلمى

نظر منصور إلي الطبيب والدموع تملأ عينيه :ألا يوجد حلا آخر يا دكتور فهيم ؟

أجاب دكتور فهيم محاولا أن يرسم ابتسامه علي شفتيه : هذا هـو الحل الوحيد يا باشمهندس منصور منصور يشيح ببصره في فضـاء الحجـرة قائلا : ولكنه ولدي الوحيد- صابر ، هو لي كل الدنيا ، ولم يبق لي أحد غيره- كيف أدفع به إلي هذه المهمة ؟!

دكتور فهيم : لأنها حياتك التي تستحق أن يذهب صابر بنفسه لكـي يبحـث ، بـل قـد يترتب عليها إنقاذ الكثيرين غيرك منصور وكأنه يحدث نفسه : يبحث - يبحث عن ماذا ، إنها مهمة خطرة ...

- ليست كذلك بالضبط ، صابر ليس صغيرا - كما أنه ابن المهندس منصور ، الرجل الذي يعشق البحث والعمل - لماذا تريد أن تحرم صابر من البحث !

حـاول المهندس منصور التحدث ولكن دكتور فهيم أشار له بيده حتي يستكمل حديثه : لقد نجح بحثك العلمي منذ سنوات في التوصـل إلـي الصاروخ المبرمج ، إنني متفائل لأن صابر يجيد الطيران بذلك الاختراع المدهش منصور يحاول أن يطمئن نفسه : نعـم لقـد أجاد الطيران لمسافات بعيدة بعيدة ، وفي كل مرة كنت

أخشـــي أن يخطـــيء في برمجة خط السير خاصة عند العودة أو أثناء الهبوط .

دخــل صـــابر علـــي والده وقدم التحية بعد أن سمع فحوي الحديــث بيــن والــده والدكتور فهيم وقال مبتسما : وكأننا نعود بالحديــث إلـــي نقطـــة البداية – لقد تجاوزنا كل ذلك وبدأ البحث بـــالفعل مـــنذ شهور ، لم نبدأه نحن ولكن أنت الذي بدأته ياأبي – أرجـــوك أن تثق في فريق البحث الذي أسسته منذ أكثر من عشرة أعوام .

نظر منصور إلي ابنه : مهما كانت حياتنا البحثية في صراع مـــع الزمن ، لكن المشاعر الأبوية لن تتأثر وإلا تحولنا إلي آلات تـــتحرك بصـــورة ديناميكـــية ، إن المشاعر هي الضابط البشري للـــتحول العلمـــي الكبير الذي ساد الكرة الأرضية في نهاية القرن الواحد والعشرين .. علاج كثير من المشاكل الطبية ..

الدكتور فهيم في مداخلة : ولكن مازلنا نعجز عن علاج كثير مـــن الأمـــور الطبـــية ، فمازالـــت الاكتشافات العلمية ينتج عنها أعراضـــا جانبية تصيب البشر بأمراض تفتك بحياته – لا نريد أن نقول أن التقدم العلمي أحيانا قد يصيب الإنسان في (مقتل) ولكن علينـــا الاســـتمرار والاســـتمرار في البحث . والآن نتركك لكي تســـتريح ســـوف نكون في الغرفة المجاورة ، منصور وأنا حتي نضع اللمسات الأخيرة لرحلة منصور الهامة والرائعة جدا .

أصـــبحت كلمة (البحث) هي لغة العصر في النصف الثاني من القرن الواحد والعشرين ، علي الرغم من الاختراعات المذهلة

التـــي توصل إليها الإنسان وبالتحديد في الفترة من النصف الثاني مـــن القـــرن العشـــرين وعلي مدي مائة عام أو أكثر كانت هناك نقلات حضارية مذهلة – من اختراع التليفزيون ورحلات الفضاء والهبوط هلي سطح القمر ثم تطور وسائل الاتصال عبر الإنترنت والتلـــيفون المحمـــول – ثم تطور وسائل انتقال الإنسان باستخدام الطائرات والصواريخ عابرة القارات .

وفي النصف الثاني من القرن الواحد والعشرين شيدت المدن المعلقـــة والمصممة لمقاومة الجاذبية الأرضية وامتصاص الأشعة الكهرومغناطيســـية ... وقـــد سميت تلك المدن في بدايتها بالمدن الخضـــراء أو المدن المشجرة بعد إزالة ملايين الغابات في أماكن مـــتفرقة علـــي سطح الأرض وخاصة قارة أفريقيا والتي كان من المعـــروف أنهـــا تمـــتلك ١٥% من غابات العالم ونحو ٥% من مزارع الغابات ، أي ما يقرب من ١٨% من مساحة الأرض.

وعلـــي الـــرغم من كل ذلك فقد أصبحت كلمة (بحث) هي اللغة المتكررة في حياة البشر حتي في الحياة اليومية التي تتضمن أســـئلة عن (ماذا نأكل اليوم ؟) ماذا أدرس الشهر القادم – ماهو النسيج الملاءم للخروج غدا في نزهة – أصبحت كل هذه الأسئلة الحياتـــية ترتـــبط بكلمة (أبحث في الصحف أو في الجهاز الذي أمامك وسوف تعثر علي الإجابة الملاءمة لك)

عقد الدكتور فهيم اجتماعه الخاص جدا مع صابر بعد جلسات عديـــدة مع فريق البحث وعشرات وعشرات من الأبحاث العلمية والتـــي بدأهـــا بعد اكتشاف مرض المهندس منصور والناتج عن

التعرض المستمر بشكل غير محسوب للإشعاع النووي الذي بدأ يفتك بخلايا جسده رويدا رويدا ، وقد كانت هناك مخطوطة عثر عليها المهندس منصور من أحد المهندسين العلماء الأفارقة، احتفظ بها لسنوات طويلة أجري خلالها أبحاث هامة وتبادل للشفرات العلمية بين بلده وبلدان أخري ...

كان بداية حديث الدكتور فهيم موجها بجدية كبيرة إلي فريق البحث قائلا : في بداية القرن الحالي ، وبالتحديد عام ٢٠٠٤

منحت جائزة نوبل للسلام إلي الكينية (ونغاري ماثاي) الناشطة في مجال حماية البيئة والتي قد بدأت معركتها ضد انحسار الغابات ي بلدها قبل ذلك بنحو ثلاثين عاما – لقد دأبت (ماثاي) علي (البحث) المستمر لمعرفة تأثير المستعمر علي مجزرة إزالة الغابات والتي بلغت أعلي المعدلات في كل من أفريقيا وأمريكا اللاتينية ، علي الرغم أنهم يحاولون اكتساب المزيد من الغابات وحمايتها خاصة في مناطق الصين والاتحاد الروسي ، والولايات المتحدة الأمريكية .

والآن وبعد ما يقرب من مائة عام ، أزيلت بلايين الغابات وشيدت مكانها ناطحات سحاب ومدن صناعية لتجهيز المواد الأولية اللازمة لخدمة الأغراض النووية للدول العظمي .

وبعد أبحاث علمية مضنية قامت بها جماعة (الحزام الأخضر) التي أسستها (ماثاي) ، استطاعت الاحتفاظ بعدة آلاف من الأفدنة ومن خلال الجهد والعمل و (البحث) أصبحت

تلك المنطقة محمية طبيعية نادرة مزودة بأحدث وسائل الاستشعار عن بعد ، ومحاطة بخلايا ضوئية حساسة لا يستطيع أحد من البشر الاقتراب منها إلا بعد (بحث حالته) إلي جانب دراسات أخري معقدة لإمكانية الاقتراب أو الدخول في هذه المحمية .

كان صابر قد نظر إلي الدكتور فهيم يود أن يسأله :

وماذا بعد ؟ ما علاقة ذلك كله بمرض والدي ؟

استطرد الدكتور فهيم قائلا : عثرنا علي مخطوطة ، استطعنا من خلال (الأبحاث) معرفة أن هناك نوع من الأعشاب استطعنا أن نحدد موقعها في مكان ما في كينيا – أن لديهم فقط سر التغلب علي أثر الإشعاع الناجم عن مخاطر استخدام الطاقة النووية وما يتبعه من احتمالية التسرب الجبري مهما كانت احتياطات الأمان

جلس د. فهيم مع صابر لاستكمال حديثهم في الاستعداد لرحلته إلي كينيا :أعرف مقدار حماسك لتلك الرحلة ولكنها قد جاءت كتتويج لاتصالات مكثفة وتبادل الثقة بيننا وبينهم هناك ومع ذلك فإن الرحلة ليست بالمسألة السهلة .

صابر : أهناك محطات انتظار قبل الوصول إلي المحمية ؟

د.فهيم : هو كذلك ، قبل أن تنطلق بالصاروخ عليك أن تقضى أطول وقت مع والدك وكل التعليمات علي الشاشة....

انطلق صابر بصاروخه ، كانت السماء صافية في ليلة قمرية ينعكس فيها ضوء الشمس فيتحول ظلام الكون إلي اللون الأبيض الحالم – وكانت التعليمات هي الطيران أثناء الليل حتي

تكـــون السماء هادئة بعض الشيء بعد أن أصبحت انتقالات البشر بالطائرات والصواريخ شيئا عاديا .

وذلك الجو الحالم يساعد صابر علي هدوء الأعصاب في تلك الرحلة المثيرة .

هبط صابر بصاروخه علي بناء معلق في الهواء وخرج منه فوجـــد نفسه أمام باب لونه أخضر – تلفت حوله قليلا لعله يشاهد الكون من تحت المبني أي الفضاء الفسيح والذي تخيله قبل الرحلة مشهدا مخيفا – ولكنه الآن لا يشاهده ،يبحث بأسفل البناية المعلقة، ولكنه لا يشعر أنه جزء من الفراغ الكوني بل يشعر وكأنه واقف علي الأرض في حالة ثبات واستقرار .

فجـــأة اهـــتزت الجـــدران الخضراء قليلا وانفتح الباب علي مصـــراعيه . خرجـــت منه فتاة سمراء واسعة العينين تبتسم من خـــلال شفتين مكتنزتين بعض الشيء – ترتدي ثيابا يظهر جسدا متناســقا نحـــيفا ، ولون ثيابها أخضر يتطابق تماما مع لون الباب الـــذي خرجت منه . نطقت بلغة عربية صحيحة : تفضل نحن في انتظارك .

دخل صابر مندهشا ليس من كم الأجهزة والشاشات المنظمة بإتقـــان وإنما من معرفة الفتاة باللغة العربية ونطقها إياها بسهولة ويســر دون أيـــة لكـــنة أجنبية ، سأل صابر : هل تعلمتي اللغة العربية ؟

أجابت : أولا اسمي (ميسا) نتعلم من سن الخامسة بالتدريج لا يقل عن خمسة عشر لغة ونتقنها جميعها وأنت ؟ :

– أعـــرف ستة لغات فقط ثم ابتسم قائلا : كنت أتصور أنني (نابغـــة) . وصـــل الأثنان إلي نهاية (الكوريدور) الذي انتهي بجدار لونه أحمر أرجواني مضيء .

قالت ميسا : تفضل ، استمر سوف تعبر هذا الجدار...

نظر لها صابر قائلا : أين الباب ؟

أجابـــت ميسا وعيناها تلمعان في اتجاه صابر : أكمل السير فقـــط دخـــل صابر تخلل الجدار الذي لم يكن سوي إشعاع يلتقط بصمات كل أجزاء الشخص الذي يمر من خلاله .

عـــبر صـــابر إلـــي الجانب الآخر – كانت ميسا في انتظاره والتي أشارت إلي لوحة أمامها وقالت : هذه كل أجزاء جسدك تم تصـــويرها هكـــذا ... نظر صابر إلي ميسا وكانت التعليمات أن يسيطر دائما علي فضوله – كانت في رأسه عشرات الأسئلة –– متي سيصل إلي المحمية ؟ كيف ؟ من سيقابله ؟ متي يحصل علي الأعشـــاب التـــي ستنقذ والده من آثار الإشعاع . نظرت ميسا إلي لوحة علي الحائط والتي ينتقل إليها مباشرة كل أسئلة صابر والتي يـــتم تشفيرها وتحويلها من موجات بالمخ إلي حروف تطبع علي اللوحة المثبتة علي الجدار. نظر صابر في دهشة إلي اللوحة التي سجلت أسئلته أول بأول .

نظرت ميسا إلي صابر تطمئنه : سوف تعرف كل شيء في حينه – أعرف أنه ليست لديك كل التفاصيل ...

استقل صابر مع ميسا صاروخا مغطي من الخارج في بعض أجـــزائه بالطلاء الأخضر في نفس لون رداء ميسا ، وأرتدي بدلة

مجهزة لتعقيم جسمه من أية نسبة إشعاع يكون قد أتي بها من بلده ولون البدلة أخضر من الخارج في نفس لون رداء ميسا والتي أخبرته أن هذه البدلة تكون بمثابة الجهاز المعالج لحالات امتصاص الأشعة المحدود ..

أمسك بكوب الشراب الأخضر الذي قدمته له ميسا ولكنه فكر أن يكون هذا الشراب مخدرا حتي لا يعرف الاتجاه الذى سيسلكه الصاروخ للوصول إلي المحمية . قرأت ميسا تلك المخاوف علي اللوحة المعلقة قالت : سوف أشرب معك من نفس الشراب – لا تقلق . أخذ صابر رشفة من الشراب وشعر أنه لم يذق مثله في حياته – كان شرابا لذيذا منعشا – لم يتوقف حتي انتهي من تناوله بالكامل .

قالت ميسا بلهجة جادة : هيا فلنتحرك .....

سارت ميسا وتبعها صابر في خطوات مسرعة انتهت إلي بهو متسع به صاروخ .

قامت ميسا بتحريك بعض أزراره لتحديد الاتجاه والسرعة – وجه صابر سؤالا إلي ميسا : هل هناك أية احتمالات أن تستخدموا هذا التطور للدفاع عن المحمية ، فقد ينقض الأعداء ...

قاطعته ميسا : نحن دائما نقوم بمناورات تتضمن شبكات إشعاعية وموجات نعرف أنها تفصل المحمية تماما عن العالم – وتجعلها حصنا منيعا من كافة الاتجاهات .

صابر : هل يمنعهم ذلك من المحاولة ؟

ميسا : لن يمنعهم سوي معرفتهم أن لدينا قدرة ...

صابر : تقصدين قدرة علي الصد أو الاقتحام ؟

ميسا : بل لدينا قدرة علي مجرد المحاولة – محاولتهم الاقتراب أو التحرك عن بعد .

اهتز الصاروخ بصورة أثارت قلق صابر ، فقد استخدم الصاروخ حتي وصل بشكل هاديء نوعا إلي البناية المعلقة – ما هذه الاهتزازات الشديدة ! ولكن ماله وهذا القلق ، لابد أن ينتظر قليلا – إلا أن الاهتزازات اشتدت وكأن هناك خللا في شيء ما – لم يستطع أن يصمت ، فقال : ما هذا .. هل هناك مشكلة ؟

أجابت ميسا بهدوء : إن عملية ضبط الموجات الصوتية والضوئية الضرورية للاتصال بالمحمية تحدث هذه الجلبة .. لا تقلق، إنها تنضبط آليا ..

. نظر صابر أمامه ولمح هيكلا ضخما شعر أنهما سوف يصدمان به لا محالة .... وكأن ميسا قد قرأت ما يدور في عقل صابر فقالت :

اطمأن ليس حاجز الخطر ولا طريق الهلاك ،إنه كذلك لمن يدخل المحمية بدون استئذان ، إنها اتفاقيات مسبقة – ووالدك وأنتم هناك معروفون لدينا منذ فترة ليست بالقصيرة . اقترب الصاروخ وقد اخترق الهيكل حتي هبط رويدا رويدا علي أرض المحمية .

أخرج رأسه من الصاروخ ، إنها منطقة بارعة الجمال ، أشجار الغابات الشاهقة الارتفاع ، أصناف وأشكال كان قد قرأ عنها وشاهدها في الصور أثناء إعداد البرنامج ولكنها أكثر روعة علي الطبيعة .

فـــي بعـض مناطق الغابة الكبيرة لاحظ أنها مكسوة باللون الأحمر ، إنه لون قرمزي يشبه الياقوت في أجمل ألوانه – مساحة شاســعة لا تستطيع العين أن تصل إلي منتهاها ، تشعرك بالرهبة وبالســعادة – لقد تذكر أن الكون بعيدا عن تلك المنطقة قد تحول إلــي مســاحة هائلة من الغوغائية البشرية – والتلوث الصناعي ، انتشرت أمراض امتصاص الاشعاعات الضارة – الجميع في حالة (بحــث) – أبحاث لمزيد من الاكتشافات وأبحاث للسيطرة علي المخرجات الضارة لتلك الاكتشافات . كانت أهم الإنجازات للتغلب علــي التلوث البيئي هي المدن المعلقة والمزودة بأحدث ما توصل إلــيه العلم من وسائل الحماية من الاشعاعات الكونية والنووية – نظــرت ميســا إلي صابر وهي تعرف ما يدور في ذهنه ، فهي تحمل بين يديها لوحة مصغرة إلكترونية تستقبل الموجات الصادرة من عقل صابر وتترجمها إلي حروف تعكس تفكيره .

شـعر صــابر أنــه كالإنســان المســحور في ذلك المكان الساحر....

نظــر إلــي ميسا فوجدها قد ازدادت جمالا عما شاهدها أول مرة خاصة أن ثوبها الأخضر مصمم بصورة تظهر رشاقتها ..

سار الأثنان في صمت قطعه صابر قائلا :هل التربة الحمراء لهــذه الغابــات تعني شيئا ؟ لم تظهر ألوان التربة بذلك الوضوح علــي الشاشات ، كما أن هناك بعض الأشجار الغريبة لم الحظها أيضا ..

انظــري تلــك الشــجرة التــي تجمــع بين الآوراق الأبرية والمفلطحــة بــل وأوراق تــأخذ أشكالا هندســية بيــن المربع والمســتطيل... هل لي أن أسأل عن العشب الطبي – أهو من تلك التربة الحمراء أم من الأشجار ؟

كــان صــابر يــنظر إلي كل ما حوله بتركيز شديد محاولا اســتمرار الحــوار مع ميسا ... ثم تنبه ونظر إليها ، ولأول مرة يلمح علامات الفزع علي وجهها ... قالت : هناك أغراب قادمون نظر صابر أمامه وحوله، لم يشاهد أحدا ...

ميسا : لن تراهم ، أنهم قادمون – إنني البس عدسات لاصقة أســتطيع الــرؤية خــلال الجزء العلوي منها من علي بعد مئات الكيلومــترات وفــي كــل الاتجاهات– وهل القادمون في مستوي المحمية أم من الفضاء الخارجي ؟!

صابر : ألا يوجد أحد هنا في المحمية ؟

ميســا : هذا ما يزعجني ، الجميع لديه تلك العدسات لحماية المحمــية دون الحاجة إلي رادارات مراقبة قد تؤثر بصورة سلبية علــي البيئة هنا بما ينبعث منها من طاقة كهرومغناطيسية – لابد أن نعود إلي الصاروخ بسرعة ونجري اتصالاتنا منه .

ركــب الاثــنان وهمــت ميسا بوضع الغطاء الواقي ،وبدأت تجــري عدة اتصالات مع القيادة ... وجاءها صوت : ميسا كان هــناك تتبع لرحلة صابر – هناك دخلاء استطاعوا القيام بالبحث وتتــبع الموجات الإلكترونية المشفرة ، لم نكن نتوقع في الحسبان

محاولـــة حدوث اختراق .... أخذت ميسا تتحدث مع القيادة وهي تدور بالصاروخ: كيف لم يكن هناك توقعا للاختراق ؟

القـــيادة : لقـــد حـــاولوا الكثير وكان مصيرهم الهلاك ، ولم نتعرض لأية هجمة منذ سنوات .

ميســا : معنـــي ذلك أن الشفرة الإلكترونية البديلة يوجد منها نسخة مع المهندس منصور ...

ومـــا أن ســـمع صابر اسم والده حتي ثبت بصره علي شفتي ميسا قائلا : ماذا – لا أفهم ؟!

كـــان الصاروخ يدور حول المحمية بسرعة فائقة محدثا خلفه شـــرارات ضوئية تنتشر هنا وهناك – إنها شفرة يعرفها الجميع – أن هناك حالة طواريء ...

نظرت ميسا إلي صابر : لابد من الاتصال بوالدك علي وجه الســرعة – إن لديه الشفرة البديلة – لم يخبرك بها– حسب اتفاقنا معه ألا يفصح بها إلا بإذن منا .

صـــابر : ومـــا الشفرة البديلة : ربما سمعت ذلك المصطلح ولكنني لم أشأ الاستفسار عن مدلوله .

ميســـا : مـــن المسئول عن الأتصال بك أثناء الرحلة ؟ أهو الدكتور فهيم ؟

صابر : بالطبع... هكذا تعلمون كل شيء ....

أجري صابر اتصالا سريعا مع الدكتور فهيم الذي طلب مهلة قصيرة لأجراء اتصال بالمهندس منصور ..

وفـــي هـــذه الأثناء كان هناك صاروخا للعدو يحاول الهجوم علـــي المحمية ، إلا أن ناطحات السحاب المحاطة بالمحمية والتي كانـــت ســـببا فـــي إزالة الغابات كانت مزودة في قممها بشبكات إلكترونية تبطيء من حركة تقدم الصواريخ الغريبة .

جـــاء الـــرد ســـريعا ، أن الشفرة البديلة مسجلة علي شاشة صغيرة في الصاروخ الذي انطلق به منصور وتركه فوق المبني المعلق ...

ولكـــن مـــا العمـــل ؟ قالت ميسا وعينيها السوداوتين تلمعان وتنظران إلى صابر وقد شعر أن الأمور تخرج من دائرة معرفته:

شـــفرة – شاشة صغيرة :أرجو أن تتقي بي ، ماذا يهمنا من تلك الشفرة ؟ ربما أستطيع المساعدة أكثر ...

ميســـا فـــي قلـــق :إنها سرية للغاية ، لا يعرفها سوي والدك والمهندس مهدي هنا – لقد تعثرت الصواريخ القادمة للهجوم علي المحمـــية وقـــد توقـــع الغزاة أن لديهم أحدث التقنيات لتجاوز كل العقبات التي تحول دون وصولهم إلي المحمية .

وعلي الجانب الآخر :

قـــال أحـــد رواد الصاروخ (فللر) وضعنا كافة الاحتمالات ولكـــن لـــيس لديـــنا تقنية الخروج من التعثر ، إن الصاروخ يكاد يســـقط ، لابـــد من التراجع قال الآخر (باد) لن نفشل – نحاول الهبوط التدريجي حتي نتلقي أوامر أخري ...

علي الجانب الآخر تمكن المهندس مهدي من خلال الشاشات الموجودة في المختبر الذي يتوسط المحمية أن ينقل الشفرة البديلة

المسجلة علي شاشة الصاروخ الرابض في المبني المعلق إلي الشاشة المثبتة أمام ميسا ...

وهنا ابتسمت ميسا ، ونظر إليها صابر والذي انتقل إليه الشعور بالطمأنينة – حقيقي أن ملامح ميسا تشعره بالارتياح إلا أنه تذكر جهله بتلك الشفرة الهامة ، فتغيرت ملامح وجهه قليلا لتعبر عن بعض الضيق ، وهمس وكأنه يحدث نفسه : كيف – لماذا لا أعرف ؟! ...

همست بسرعة : لا تغضب إنني أيضا لم أكن أعرف – ولكن توصل الأعداء إل فك شفراتنا والآن تمكنوا من الاقتراب – لم يكن في حسبانهم أننا قد أعددنا خطة علمية بديلة – لقد استغرقت الكثير والكثير من الوقت – ولكن لا يهم الوقت ، المهم الإنجاز – و (البحث) الدائم ، القيادة هنا مع المهندس مهدي – ولكن لابد أن تعرف، نعم لابد أن تعرف أن والدك إنسان عبقري – لقد شارك معنا في الحفاظ علي تلك المحمية ، كان الأمر يحتاج إلي عقول فذة للتوصل إلي أنواع من الأشعاعات لا تؤثر علي خصوبة التربة – ولكنها للحماية من الغزو ...

هنا جاءت الإشارة إلي ميسا وصابر للتحرك بالصاروخ في اتجاه المحمية.

المهندس مهدي : صابر ، والدك بطل عظيم –تحمل الكثير في سبيل تجارب الاشعاعات الخارقة – إن صواريخ الأعداء تجرفها اشعاعاتنا بعيدا بعيدا عن المحمية وتعمل علي زيادة جاذبية تلك الصواريخ في الاتجاه المضاد لنا . أما عن شفرة

تنشيط تلك الاشعاعات فهي تتكامل بيننا وبين المهندس منصور – والدك المبدع – لقد آن الأوان أن تعرف الكثير عن محميتنا – إنها مبطنة بطبقة من الأعشاب المختلطة والتي يغلب عليها اللون الأحمر كما تري ... ببساطة إنها أعشاب طبية لامتصاص الأشعاعات النووية .

إن لدينا هنا جو نقي تماما مضاد للأشعاعات الضارة مثل الأشعة الكهرومغناطيسية ، إنها تمتصها أول بأول حتي لا تتسبب في الإضرار بالأشجار والنباتات هنا وأيضا لحماية خلايا المخ البشري.

سجلت الشاشات ضيق صابر من عدم اطلاعه علي تلك المعلومات .

المهندس مهدي مبتسما : إن هذا لا يقلل من شأنك لقد وصلتنا بصمات كل جزء في جسدك قبل قيامك بالرحلة ، وقد تأكدنا من شخصيتك بتسجيل بصماتك مرة أخري ..

عاد صابر إلي والده حاملا معه الأعشاب الطبية – وقام الدكتور فهيم بإعداد تلك الأعشاب وتحويلها إلي عجينة عطرية وقام بطلاء جسد ووجه المهندس منصور حتي تحول إلي كتلة حمراء ثم وضع عليه غطاءا من نسيج خاص يشبه الكتان أحضره صابر معه من المحمية ...

مع كل صباح كان منصور يشعر بتحسن وكأنه يعود بعمره عشرات السنين --- تجدد في خلايا الجسم والوجه التالفة وغير التالفة ، شعور يتزايد بالنشاط والحركة بعد أسبوع أزيل الطلاء ،

ثـمّ قام منصور بالاستحمام بمياه غزيرة فاترة ... وأجريت عليه الاختبارات الصحية – كانت النتائج مبهرة – إن جسمه خال تماما من الإشعاع النووي ، بل لقد أصبح أكثر صحة وشبابا ....

نجاحـا سـاحقا ، شـعر صابر بقمة السعادة وأرسل رسالة خاصـة إلي ميسا يدعوها إلي الحضور للتعرف علي المكان نفسه وعلـي معـامل (البحث) لتراهم علي الطبيعة وليس من خلال الشاشـات الإلكترونـية أرسـل فـي برقيته : أشكرك ، ندعوك للحضور ، أهلا بك في بلدنا .

عيون فوق البرج

قصة من الخيال العلمي

خـــرج الدكـــتور فؤاد حمدي من غرفة العمليات في الخامسة صـــباحا بعـــد الانـــتهاء من إجراء عملية جراحية استغرقت تسع ســـاعات . سار في الردهة التي تبعد عن مكتبه بالمستشفي حوالي مائـــة مـــتر ، وكانت تظهر علي وجهه علامات الإرهاق الشديد وكذلـــك الجدية والقلق من المجهول ، لم يكن يفكر فقط في نتيجة العملـــية التي أجراها هذه الليلة وإنما كان يفكر أيضا في الاجتماع المهـــم الـــذي ينـــتظره بعـــد عشرة أيام ، كان عليه إعداد تقريرا تفصـــيليا مسهبا وواضحا عن دراسته وأبحاثه في الثلاث سنوات الأخـــيرة ، ثم النتائج العلمية التي توصل إليها وأخيرا تطبيق هذه النتائج في عمليته الأخيرة .

جلـــس خلف مكتبه يفكر في تلك المغامرة العلمية – لا ليست مغامـــرة ، لأن ضـــميره العلمي كان مقتنعا بأنه درس الأمر كما ينبغـــي مـــن خلال تجاربه المعملية ، أخذ يستعيد ذاكرته وتجاربه علي حيوان الغوريللا – ويبتسم ابتسامة متعبة ، انه لا يستطيع أن يغـــادر المستشفي قبل ساعتين علي الأقل للتأكد والاطمئنان علي حالـــة المريض الصغير ، انه تامر ذو الأربعة عشر عاما والذي انهـــي له عملـــية جراحـــية دقيقة في عينيه . سحب الدكتور فؤاد ســـيجارة وأشـــعلها ، لقـــد قاوم التدخين والآن إنه في حاجة إلي سيجارة مع فنجان من القهوة التي دخلت بها الممرضة أمينة..

أميـــنة : دكـــتور أرجـــوك أن تأكل شيئا – لقد أحضرت لك (بـــاكو بسكوت) أرجو أن تأكل منه شيئا قبل القهوة – لقد كانت عملية غير عادية ..

شـــعرت أميـــنة أن الدكتور يود أن ينفرد بنفسه مع سيجارته وفنجان القهوة ، فانسحبت في هدوء . جلس الدكتور فؤاد يستدعي ذاكـــرته محـــاولا أن لا يفكـــر الآن في الأيام المقبلة – أنها مليئة بـــالعمل وشـــرح التقارير التي يود أن تكون علي أعلي مستوي ، حـــاول أن يســـتبعد ذلـــك الغد ، واسترجع بذاكرته ثلاث سنوات مضت كان يتعامل فيها مع صغار الزرافات – يالها من حيوانات وديعة وجميلة – لقد نسي أحيانا تجاربه مع الزرافة وتعامل معها كأنهـــا صغير يسعد بتقديم الجزر والخس إليه فتمد لسانها الطويل لـــتأكل هذه الخضروات وهي سعيدة – ولكن للضرورة أحكام كما يقولـــون فـــي الأمثال ، لقد اضطر أن يتجاوز براءة تلك الزرافة الطفلـــة لكـــي يفحص عينيها الواسعتين ليعرف اللغز في نظرها الحـــاد ، وبعـــد الفحـــص يحاول أن يلاطفها وكأنه يعتذر لها عن قسوته في تكبيلها وفتح عينيها بأجهزته الدقيقة ..

وبعـــد أن غاص الدكتور فؤاد في أفكاره وبين يديه سيجارته وقهوتـــه المفضـــلة ، دق الباب بهدوء ، ودخلت الممرضة أمينة قائلـــة: آســـفة يا دكتور فؤاد ولكن والد تامر يريد الاطمئنان علي ابنه ، وعلي سير العملية .

- : مـــن الممكن أن تطمئنيه ، ولكن انتظري سوف اذهب إليه بنفسي .

خـــرج الدكـــتور فؤاد من مكتبه في تثاقل شديد – لقد قطعت أميـــنة عليه دقائق الرفاهية التي عاشها مع نفسه باستدعاء أبحاثه مع عيون الزرافة .

أمينة : تفضل يا دكتور ، قسم العظام حجرة ٧٨

تـــبدل وجه الدكتور فؤاد وكأنه يلبس قناعا مختلفا تماما عما يحـــس بداخله ، كما يفعل باقي الأطباء لطمأنة مرضاهم ، ودخل غرفة والد تامر مهللا :

صباح الخير يا أستاذ عبد الله كيف حالك ؟

- صباح الخير يا دكتور – هل أتممت جراحة تامر ؟ كيف حالـــه ؟ هـــل ســـيري مـــن جديد ؟ كان حادثا مؤلما – ارجو أن تصارحني ..

الدكتور فؤاد مبتسما : اطمئن جدا – لقد أنهيت العملية بنجاح – ولكـــن تامـــر لم يفق بعد ، ولكنني مطمئن – أنا معه ، سوف أتابعه حتي يفيق– المهم اعتني أنت بنفسك .. تهلل وجه والد تامر قلـــيلا : شـــكرا يا دكتور – لقد تعبناك ونتمني أن يكلل الله عملك بالشفاء .

- إن شـــاء الله – والآن اســـترح ، سوف اطمئن علي حالة تامر وأعود إليك عند منتصف النهار ، لا تقلق أبدا .

خـــرج الدكتور فؤاد من حجرة الأب وكأنه يحمل علي كتفيه حملا ثقيلا ، لقد بدأ يستشعر المستقبل القريب – ولكنه توجه علي الفـــور إلـــي مكتبه وحاول أن يسجل بعض الملاحظات الخاصة بالعملـــية ، ولكنه لم يستطع أن يخط حرفا واحدا . مرت الساعتان

وتوجـه الدكـتور فؤاد إلي غرفة العناية المركزة للاطمئنان علي تنفس تامر والاطمئنان علي بداية إفاقته من (البنج) فلابد أنه قد أخذ جرعة كبيرة حتي تستمر العملية تسع ساعات .

كانـت الحالـة مطمئنة ، أوصي الدكتور الممرضة والطبيب الملاحظ بمتابعة النبض وحالة القلب وإبلاغه علي الفور في حالة حدوث أي خلل – ثم اضطر إلي الانصراف .

كان الدكتور فؤاد حمدي عبد العزيز يعيش وحيدا في (فيلا) واسـعة ملحق بها حديقة في شارع (سيسمي ستريت) الواقع في نهايـة شـارع الهرم ، وكان والده طبيب العيون المشهور والذي مات قبل أن يكمل أبحاثه الهامة عن تطور العدسات البديلة لعدسة العيـن وأبحاثه الأكثر أهمية عن تصنيع قرنية بديلة لمن تعرضوا لحـوادث أو أمراض أدت إلي تلفها ، وكان لابد من توفر (قرنية طبيعية) لشخص حديث الوفاة .

اسـتكمل الدكتور فؤاد الدراسة في طب العيون ، وعاش بين أبحاثه علي الحيوانات ومعمله ، وكان يعشق تخصصه ويري أن الإرث الطبي عن والده أهم بكثير من الإرث المادي .

نام الدكتور فؤاد سويعات قليلة غير منتظمة ، فقد كان يخشي أن يـدق جـرس التليفون في حجرته لابلاغه بشيء ما ليس في مصـلحة الطفـل تامر ، وكانت وصية والد فؤاد أن يعطي لنفسه ولـو ساعة واحدة للترفيه لتكون فاصلا بين كل مرحلة من العمل الشـاق والـبدء في مرحلة جديدة . حاول أن يتذكر هذه النصيحة والتـي شعر بأهميتها القصوي في هذه المرة بالذات – خرج من

(الفـيلا) وتوجــه إلي النادي وبعد القيام بممارسة الرياضة في صـالة الألعـاب أخـذ حماما منعشا – توجه بعدها لتناول طعام الإفطـار وقراءة الصحف في عجالة ولم يستطع الاستمرار أكثر من ذلك ، فتوجه مباشرة إلي المستشفي .

قـال الدكـتور فؤاد محاولا أن يغلف صوته برنة من الحب والتفاؤل :

صباح الخير يا تامر حمدا لله علي سلامتك

- صباح الخير يا دكتور – حضرتك اللي عملت العملية ؟
- نعم – اطمئن أنت بخير .
- متـي أفك الضمادات ؟ صحيح سوف أري ؟ دكتور هل الحادثة لم تؤثر علي عيني ؟
- طـبعا أنـت بخـير ، ولكـن لا تستعجل – يجب عدم الاستعجال .
- يعني أكيد سوف أستطيع الرؤية ؟ وهل علم أبي ؟
- بابـا بخير ، الحادثة أدت إلي ارتطامه بالرصيف ، يعني فـيه بعـض الكسـور ورجله في الجبس ، علي فكرة ممكن أن تتحدث معه بالتليفون ..

وكانت تلك المكالمة في وجود الدكتور فؤاد لها مفعول السحر علي كل من الوالد وابنه حتي يطمئن كل منهما علي الآخر .

وضع الدكتور فؤاد كلتا يديه حول يد تامر و قام بتقبيله على جبيـنه مما أثار الاطمئنان و الدفء في نفس تامر و ودع الدكتور فؤاد و هو يشعر و كأنه يراه .

عند المساء ، بدأ د. فؤاد يضع العناصر الأساسية للتقرير المهم الذي سوف يقدمه إلى الطاقم العسكري و الأمني و كيفية الشرح في سهولة و يسر ، كيف تصل النظرية العلمية التي بنى عليها جراحته الأخيرة إلى النخبة العسكرية واضحة و مركزة و مبسطة في نفس الوقت ؟ فليبدأ أولا بتحديد الهدف – و الأهمية ثم الإجراءات التي قام بها منذ عدة سنوات حتى وصلت إلى التطبيق العملي في الليلة الماضية . بعد تفكير عميق لعدة أيام قرر أن يصارح تامر بما حدث لأن حديثه مع تامر سوف يكون الورقة الهامة في كتابة التقرير ، إلى جانب أن الحديث مع تامر سوف يكون تدريبا له على تبسيط الفكرة و تقديمها بشكل أكثر تحديدا ..

بدأ حديث د.فؤاد مع تامر قائلا : أنا عارف أنك درست تركيب العين أليس كذلك؟

- نعم درسناه، و لكن.. (قالها تامر بتردد)

قاطعه د. فؤاد : أولا يا تامر اطمئن ، بعد رفع الأربطة سوف ترى كل شيء أوضح مما تتصور – و لكن هناك بعض الأمور أود أن أوضحها لك – أنا أخترتك حتى تقوم بمهمة دقيقة و تحتاج إلى نظر قوي جدا و قوة ملاحظة .

- نظر قوي جدا ! ، هل معنى ذلك أنني سوف أستطيع الرؤية بشكل جيد ؟!

- أكيد ، لكن أوعدني أن يظل كل ما يقال بيننا الآن سر، سر – لا يخرج أبدا إلى أي إنسان .... تصور أنك ممكن أن ترى بوضوح على بعد عشرات الكيلومترات ، بالطبع انت درست أن

هناك عدسة في العين هي المسئولة عن تجميع الأشعة الضوئية المنعكسة على الأجسام التي نراها ، ثم تتجمع هذه الأشعة على الشبكية – هذا التجمع نسميه البؤرة – و عن طريق العصب البصري الذي يصل الشبكية بالمخ نستطيع الرؤية . هذه هي الفكرة ببساطة جدا... إذا غيرنا بعض الشيء في مواصفات الأجزاء المسئولة عن الرؤية مثل تركيب القرنية – الجزء الأمامي الشفاف من العين و أيضا استطعنا أن نصنع العضلات المحيطة التي تتحكم في العدسة فمن الممكن الرؤية على مسافات كبيرة جدا.

تامر في فزع : ماذا تعني يا دكتور ؟

- لا أريد شرح كلام صعب – تامر إن ثقتي بك كبيرة – إذا رفعت الأربطة من على عينيك سوف ترى أشياء على بعد عشرات الكيلومترات ....

- هذا يعني أن أبي لابد أن يسافر إلى بلد بعيد حتى أراه ! و أصدقائي و المدرسة !

- لقد فكرت في ذلك كله – لابد أن تلبس نظارة من عدسات شفافة دقيقة ، تلبسها دائما ، و مصنوعة من ألياف رخوة ممكن حتى النوم بها – هذه النظارة سوف تساعدك على الرؤية العادية .

- ألبس نظارة عند النوم ! ممكن عدسات لاصقة ..

- لا أريد إجهاد عينيك الآن بعدسات لاصقة ..

تنبه تامر مرة أخرى و بمزيد من الإستيعاب قال : و لكن لماذا أنا يا دكتور ؟ ماذا حدث ؟ أرجوك اشرح لي بصراحة ..

- لقـد أثــرت الحادثة على عينيك ، أدت إلى تلف أجهزة العيــن بالكامل ، ما عدا العصب البصري الذي حاولت تنشيطه و توصـيلة بشبكية صناعية – لقد درست على مدى سنوات طويلة حــتى أصـل إلــى تصنيع العضلات و كذلك القرنية .. تامر كل شيء تم تجريبه

- على الحيوانات ؟

- ليســت أي حــيوانات ، الحيوانات الذكية مثل الشمبانزي وأيضا الزرافة

- و أنا الحيوان البشري ..

- الحادثة أتلفت عينيك بالكامل – و نحن في حاجة إلي ولد مــثلك شجاع يحب بلده ، إن طول النظر سوف يكشف لنا أسرارا هامة يمكن أن تراها عن بعد .

- أسرار هامة ؟

- لا أســتطيع أن أكشف لك كل شيء الآن لأنني لا أعرف منها إلا القليل جدا صدقني أنت تقوم بعمل بطولي – واطمئن فمن خلال النظارة سوف تري بشكل طبيعي .

- ومتي نبدأ ؟

- ممكــن رفع الضمادات الآن وفورا – ممكن أن ترفعها بنفسك لو أردت ، ولكن أرجو أن تنتظرني غدا – حتي أحضر لك نظارة الرؤية الطبيعية ، اوعدني أن تنتظر غدا ..

تامر بدهشة كبيرة : أوعدك

انصرف د. فؤاد بعد أن طلب من أمينة مراقبة تامر عن بعد دون تدخل علي الاطلاق حتي لو شاهدته من خلال شاشة المراقبة وهو يرفع الضمادات .

كانــت أميـنة تعلم أن هذه (الوردية) المسائية ليست سهرة عاديـة ، فلابــد أن تكون يقظة جدا في مراقبة تامر وتسجل كل الملاحظــات التــي أكد عليها د.فؤاد ، انفعالات تامر ، الحزن ، الألم، القلق – والأهم من ذلك محاولته فك الأربطة.

لقــد تدربــت أميـنة جـيدا مع الدكتور فؤاد علي التمريض الحديــث ، لــيس مجرد إعطاء الدواء للمريض أو قياس ضغطه وحرارته .. ولكنها تدربت جيدا علي التعامل مع الأجهزة الحديثة المتصلة بالمريض – تدربت علي كتابة بعض التقارير حتي يكون العمل الطبي أحيانا معروفا لأقل عدد من الأفراد .

جلس تامر يستعيد كل كلمة دارت بينه وبين د.فؤاد – تجول فــي الحجـرة، يتحســس الفراش والجدران ، ثم لمست يده نافذة الحجرة التي كانت مغلقة ، وقف تامر أمام النافذة يتحسسها وعقله يفكــر بنشاط وقوة ، ثم ابتسم لنفسه ابتسامة واسعة ، وفتح النافذة ووقــف ساكنا لبضعة ثوان ، ثم وضع يده علي عينيه – إنه يفكر في رفع الأربطة – بدأ يحاول في بطء ، ولم يمنعه من ذلك سوي حديـث الدكتور فؤاد معه (انتظر إلي الغد) ، (إنني أثق بك) ، (سوف تقوم بشيء هام جدا) .

وبعــد بضــعة دقائق ، تراجع تامر عن تفكيره وجلس علي فراشه محاولا أن يهديء من روعه في انتظار الغد .

انتهـت المهمة الشاقة التي قامت بها أمينة ، وكانت راضية عن عملها في هذه الليلة التي مرت بسلام خاصة بعد تراجع تامر عن محاولته في فك الأربطة .

حضـر الدكتور فؤاد واستلم التقرير من أمينة ، وقرأه بعناية وشـعر بالارتياح الشديد لأن ما قرأه كان متفقا تماما مع توقعاته بالنسـبة لسلوك تامر . ثم دخل غرفة تامر وفوجيء بوجود والده الذي كان قلقا علي ابنه ، فبادر بقوله :

صباح الخير يا أستاذ عبد الله – كيف حالك ؟

- عرفت من تامر انه سيفك الأربطة اليوم ..

- طبعا الآن – اطمئن – ولكن أرجو أن أصطحب تامر إلي غرفة الأجهزة للإطمئنان علي كل شيء ، انتظر ثلث ساعة علي الأكثر ..

مـرت الدقائق وكأنها ساعات ، فعلي الرغم من تأكد د.فؤاد مـن نتيجة العملية غير أنه كان قلقا للغاية . رفع الأربطة ووضع الـنظارة الطبية الدقيقة علي عين تامر وبعد ثوان بدأ يميز الأشياء في الحجرة بالتدريج ..

تامر : إنني أري كل شيء ، ولكن هل كل شيء بداخل عيني صـناعي ! العدسات – العضـلات – القرنية – .. ثم نظر إلي المرآة فوجد النظارة وكأنها بلا عدسات نظرا لشفافيتها الشديدة .

د. فـؤاد : الآن يـا بطـل سوف أرفع النظارة ، وتنظر من النافذة لمدة ثوان فقط .

رفع د. فؤاد النظارة ببطء وحذر ، وكانت دهشة تامر شديدة، إنـه يـري أشـياء غريـبة ، أبنية غريبة ومساحات خضراء أو صـفراء، وقبل أن يتساءل عن هذه الأشياء تذكر الشرح الموجز الذي أوضحه د.فؤاد من قبل .

د. فـؤاد : ضع النظارة الآن يا تامر – إن لنا لقاءات كثيرة بعد ذلك ولكن أهم شيء الآن أن تطمئن والدك ، أنا أثق بك ، هل توافق أن نكون صديقين ؟

– طبعا أكيد يا دكتور .

– والآن اسـمح لـي يـا أستاذ عبد الله أن يكون تامر تحت رعايتـي ، ربمـا لفترة طويلة فهذه فقط هي المرحلة الأولي وقد تحققت بنجاح .

وجاء يوم الاجتماع ، وكان د.فؤاد قد أعد تقريرا تفصيليا عن العملـية –توقع عشرات الأسئلة التي من الممكن أن تطرح خلال الاجتماع ، ودونها في عدد من الأوراق وأجاب عليها بالتفصيل .

كـان الاجـتماع فـي باخرة تسير علي ضفاف النيل ، كان اختـيار المكـان مقصـودا حتي يخفف جمال المكان من سخونة المناقشـة المـتوقعة كما أن الفضاء المحيط بالباخرة يساعد علي تيسـير الشـرح ، إلـي جانب أنه مكان آمن للحفاظ علي سرية الموضوع.

ضـم الاجـتماع نخبة محدودة من اعلي الرتب العسكرية ، يرتدون الملابس العادية .

بدأ القائد التحدث بتقديم الدكتور فؤاد قائلا : نحن نعلم أن هناك تطورا مذهلا في أجهزة المراقبة سواء كانت المراقبة الدولية من أقمار صناعية وأجهزة رادار حديثة وغيرها ، وأصبحت بعض الدول تستطيع الكشف عما تمتلكه الدول الأخري من أجهزة ، وباختصار فقد نجح البعض في إخفاء ما تملكه من أجهزة المراقبة المتطورة ومنذ شهور توصلنا إلي إمكانية استخدام القدرات البشرية الطبيعية في المراقبة عن بعد دون الحاجة إلي أجهزة واضحة قد يلتقطها الآخرون ويحاولون الشوشرة علينا .

ولكن ماهي تلك القدرات البشرية ؟ هذا ما سوف يقدمه لنا الآن الدكتور فؤاد حمدي .. ولي رجاء أن تستمعوا إليه وتدونوا أسئلتكم حتي ينتهي من شرح تجربته .. تفضل يا دكتور فؤاد .

وأثناء سير الباخرة وكانت قد أخذت سرعتها وشقت مياه النيل ، أخرج الدكتور فؤاد صورة كبيرة واضحة بالألوان لحيوان الزرافة، ثم قال مبتسما : ما رأيكم ؟ قال أحدهم : يمكن الزرافة حتقوم بالمراقبة ..

د. فؤاد : لقد كانت عيون الزرافة هي مصدر الإلهام حول الإمكانيات الطبيعية للكائنات الحية – إن عين الإنسان تستطيع بدون توتر أو إجهاد رؤية الأجسام الواقعة علي مسافات ليست أكثر من ستة أمتار عن العين تقريبا ، بينما تستطيع عين الزرافة رؤية الأجسام بدون إجهاد من علي بعد كيلو متر وممكن أكثر من ذلك وبعد الفحص والدراسة ، وجدت أنه من الممكن أن تتكيف عين الإنسان علي الرؤية من علي مسافات بعيدة جدا .

توجه الحاضرون بنظرات التساؤل والفضول نحو الدكتور فؤاد ...

د. فؤاد : ببساطة جدا لقد استطاع الإنسان محاكاة العدسة الطبيعية الموجودة في العين بل التوصل إلي عدسة شديدة الشفافية ومتوفر فيها كل الشروط اللازمة للرؤية الواضحة ، بل قمنا بعمل قرنية تفوق في كفاءتها القرنية الطبيعية ......

وقام د. فؤاد بعرض لوحة كبيرة لشرح تركيب العين ، وبدا في الشرح محاولا اختيار أوضح الكلمات .

القائد : يعني حضرتك قمت بعمل قرنية صناعية ؟

- نعم والقرنية تتكون من ألياف بروتينية شفافة ، وهي في الزرافة مثلا تميل إلي التسطح أو نقول منبسطة أكثر مما هي في عين الإنسان ، وعلي مدي الثلاث سنوات الماضية توصلت إلي تكوين قرنية معالجة ، وقمت بعمل لحامات بين مكونات العين والشبكية وتوصيلها بالعصب البصري عن طريق أشعة الليزر .

القائد مقاطعا : لو سمحت لي يادكتور مداخلة سريعة ، من الممكن قراءة التفاصيل في التقرير المقدم بصورة مؤقتة .. ولكن نود الآن معرفة تجربتك العملية ، أعرف أن هناك عملية جراحية أجريتها بالفعل منذ عشرة أيام تقريبا..

- العملية نجحت جدا ، والطفل تامر يستطيع الرؤية حسب المسافة التي يمكن أن نحددها له والتي تعتمد علي الارتفاع .. ولكن تعود إليه الرؤية الطبيعية من خلال نظارة طبية يلبسها في الأوقات العادية .

قال أحدهم : طفل ، ما عمر ذلك الطفل ؟

- تامر عمره أربعة عشر عاما – لقد ساقت لي الصدفة هذا الطفل الذي تعرض لحادثة أدت إلي إتلاف معظم مكونات عينيه – وإنني غير قلق على الإطلاق منه لأن هذا السن بين الطفولة والشباب، فهو يحب دائما أن يثبت دائما أنه أهل للثقة يعني (رجل) يمكن الوثوق به.

القائد : هل اختبرت هذه الجزئية ؟

- نعم ، تركته ليلة كاملة له حرية الاختيار في فك الأربطة بعد أن أطلعته علي نتيجة العملية ، ولكنه لم يفعل – لم يخبر والده بأي شيء ، إنه سعيد بهذا السر .

بدأت الجلسة تتوتر بعض الشيء وطلب أحد الحضور الكلمة بنبرة شبه غاضبة :

كيف نعتمد علي طفل وما يمليه علينا في وصف أشياء هامة، مثلا وصف منشآت معينة تخصنا أو تتجاوز الحدود – هل ممكن القيام بتجربة استطلاعية؟

رد آخر : سيادة اللواء عنده حق ، فلنجرب الطفل في معلومات معروفة لنا للتأكد من صدق مشاهدته .

القائد : هل أنت جاهز يا دكتور فؤاد لإجراء التجربة علي الطبيعة ؟

- نعم ، ولكن لا بد من تحديد الموقع – سوف تكون عين تامر بمثابة الرادار البديل أو الرادار الطبيعي ، الأفضل أن نحدد الآن أحد الأبراج يعني أحد العمارات الشاهقة ونحجز لتامر مكان

للإقامة في أعلي الأدوار ليكون وجوده طبيعيا... والآن فلنتفق علي التفاصيل .

لم يستطع د.فؤاد تقديم كل مافي جعبته من معلومات عن النتائج المتوقعة ، إذ لابد من مشاهدتها علي الطبيعة .

وانتقلت مجموعة مصغرة معه إلي موقع التجربة .وقف تامر في الشرفة يلبس نظارته الطبية ، يعلق في سترته (ميكرفون) صغير ، وجلس بالداخل د.فؤاد بيده جهاز مزود بشاشة صغيرة وكان بجانبه اثنين من الضباط اللذان حاولا الاحتفاظ بهدوئهما حتي تبدأ التجربة .

د.فؤاد : تامر ارفع النظارة وانظر أمامك ، أنا أتابع معك .. ماذا تري ؟

– يوجد مبني مغلق علي بابه يافطة مكتوبا عليها (وحدة التدريب العسكري) تألق وجه د.فؤاد ، ونظر الضابطان إلي الشاشة فوجدا بالفعل صورة المبني بنفس المواصفات التي تحدث عنها تامر .

قال أحدهما : إن هذا المبني يبعد بمسافة خمسة عشر كيلو متر – هايل..

حرك تامر رأسه مواصلا وصف مشاهداته : أرى المطار هناك طائرتان يصعد إليهما المسافرون .. هناك طفلة صغيرة تمسك بيد أمها ، إن وجه التشابه بينهما كبير .

حرك د.فؤاد بعض (الأزرار) المتصلة بالشاشة – فظهرت بالفعل صورة المطار وعلق أحد الضباط قائلاً : ولكنك يا دكتور لم تذكر شيئا عن هذه الشاشة ..

- هذه هي المرة الأولي التي استخدمها معكم

قال إحدهما : كيف تحكمت في كفاءة شبكية العين ؟

- ركزت علي محاكاة الخلايا المخروطية وتزويدها بمركبات تساعد علي حدة البصر في الضوء .

قال الآخر : معني ذلك أن هناك مشكلة في استقبال العين أثناء الليل ..

- لقد قمت بمعالجة الخلايا القضبانية الواقعة علي الشبكية فهي حساسة للضوء الخافت والحركة وللتغيرات الطفيفة في شدة الضوء – سوف نكرر المحاولة ليلا . كان موعد إجراء التجربة للمرة الثانية في اليوم التالي بعد منتصف الليل .. كان من الضروري أن يعود تامر إلي والده ليطمئنه علي سير العلاج مع الدكتور فؤاد ليخبره أنه في حاجة إلي جلسات دورية لعمل لحامات بالعين باستخدام أشعة الليزر . وقد أقنع د.فؤاد والد تامر ألا يرهق نفسه بالذهاب والعودة مع ابنه لأن ساقه مازالت في الجبس وأنه في حاجة إلي راحة تامة .

بدأ العمل من جديد لاختبار الرؤية في الظلام – وكانت مفاجأة كبيرة لكل الحضور حول الشاشة المراقبة .

تكررت المحاولات في النهار وفي الليل – واجتمعت النخبة مرة أخري مع د.فؤاد .. بدأ القائد حديثه : طبعا عرضنا علي

حضراتكم التقرير من قبل ونقول أن المهمة نجحت بنسبة ٥٠% أليس كذلك يا دكتور فؤاد ؟

- لقد حققنا نتائج مذهلة بشهادة السادة الحضور – ولا شك أن الضوء الطبيعي قد ساعد علي وضوح الرؤية ..

أحد الحاضرين : المراقبة الليلية تهمنا جدا ولكن التجربة لم تعط نتائج إيجابية

- أعرف أن الصورة التي شاهدناها أثناء الليل كانت مشوشة علي الشاشة ، ولكنها ليست منعدمة تماما ، وهذا يعطينا أملا في التطوير – وكما تعرفون فإن التطبيقات مرحلة لاحقة للاكتشافات العلمية ، ويكفي الآن أننا نتحكم فيما يشاهده الصبي دون الحاجة إلي أجهزة خارجية واضحة في كل الاتجاهات .

قال آخر : الضوء هو أساس الرؤية ..

د.فؤاد : هذا هو المحك في نجاح المشروع وتكامله ، دعوني أطلق عليه المشروع ، فتلك هي الخطوة القادمة ما دمنا قد نجحنا في صناعة العين وتكييفها مع الأعصاب الطبيعية ، فقد ننجح في توليد طاقة ضوئية مناسبة تنبعث من العين وتوجه إلي الهدف المنشود حتي نتمكن من رؤيته في الظلام الحالك ..

القائد : علينا أن نهنيء أنفسنا بنجاح المشروع لأن التجربة لم تنته بعد .

سلوي ولغز العروسة

قصة من الخيال العلمي

- احتفلت المجموعة بنجاح المرحلة الأولى من الابتكار العلمي للدكـــتور فؤاد الذي لم ينس أن يذهب في اليوم التالي للاحتفال مع تامر ، حيث قام معه برحلة نيلية ممتعة وصارا صديقين يقضيان أوقاتهما معا بين الترفيه والعلم .

توجهـت فاتن نحو الباب للخروج – ولكنها تذكرت وعادت لـتأخذ التليفون المحمول لكي تعيد الاتصال بزوجها محمود مرة ثالـثة ورابعة ، ولكنه كان مشغولا طول الوقت – لقد أرادت أن تخبره أن ابنتهما سلوي لم تذهب إلي المدرسة لأنها استيقظت من الـنوم وحـرارتها مرتفعة ، وأنها اضطرت إلي الخروج بسرعة حتـي تنقذ والدتها – لقد أبلغتها أختها أنها مريضة وأنها في حالة إغماء –

لابد من نقلها إلي المستشفي علي الفور .

خرجـت فاتن بسرعة من الباب ونزلت الدرج علي عجل ، ونسـيت أن تغلق حجرتها بل وغفلت عن إغلاق الباب الخارجي خلفها – وهي لا تعلم أنها سوف تتسبب في حادث كبير .

كـان هناك من يراقب (الفيلا) المكونة من طابقين منذ عدة أسـابيع – خاصة حركة هذه الأسرة الصغيرة ومواعيد خروجهم كل صباح .

عـرف اللصـوص الـثلاثة أن الزوج يخرج أولا – وبعده بحوالـي نصـف ساعة تخرج الأم مع طفلتها ، ثم تعود الأم بعد حوالـي ساعة أو أكثر بقليل وحدها – ثم تعود الأم للخروج مرة ثانية حوالي الثانية ظهرا والعودة الساعة الثالثة مع الطفلة ...

وهناك خادمة تأتي يومين في الأسبوع الأحد والأربعاء بصورة منتظمة .

كان اليوم هو التوقيت المناسب لسرقة منزل الضابط محمود – بعد خروجه وخروج زوجته وابنته في الصباح .

شاهد اللصوص خروج الزوج وبعد قليل خروج الزوجة ، ولكن أين الطفلة ؟! قال أحدهم

قال آخر : هل خرجت مع الأب ؟

أجاب الثالث : في الغالب أنها موجودة بالداخل

قال الأول : الواضح يا جماعة هو تأجيل العملية ، فغالبا البنت موجودة ، ليس هناك فرقا بين اليوم واختيار يوما آخر لإتمام العملية صاح الثاني : بل هناك فرق كبير ، انظر جيدا إلي الباب الخارجي ، أري أن السيدة لم تغلقه ، لقد كانت مسرعة جدا في حركتها – لقد نسيت الباب مواربا .

دقق اللصوص الثلاثة ، واقتربوا بحذر من الباب ، وبالفعل لقد نسيت فاتن وهي قلقة وعقلها شارد بين تعب الأبنة وحالة والدتها ، لقد نسيت أن تغلق الباب وراءها..

نظر اللصوص الثلاثة إلي بعضهم واتفقوا بنظراتهم علي اقتحام البيت في هدوء .

همس أحدهم : إنها فرصة ذهبية ، الباب مفتوح فعلا ، ربما تكون الأبنة نائمة –

ادخلوا بهدوء ، الهدف هو النقود والذهب فقط .

همس الثاني : يا تري الطفلة عندها كام سنة ؟ قد تسبب لنا بعض المتاعب ....

الأول : يعني عندها ثمانية أو تسع سنوات – المهم أن نعرف مكان غرفة نوم (المدام) ، فلابد أن بها ما نريد .

الثالث : حذاري من التعرض للأبنة – بعد الدخول نلبس (الماسكات) علي وجوهنا وإذا فاجأتنا البنت ، حاولوا التعامل معها برفق – لا نريد أن نحول العملية إلي قتل .. فاهمين ... هز الآخران رأسيهما علامة الموافقة .

بدأ اللصوص الثلاثة يدخلون إلي المنزل بهدوء ، وقفوا في الردهة الخارجية ينظرون يمينا ويسارا ، لاحظوا وجود سلم داخلي .. شاور أحدهم بالتوجه إلي الدور الثاني .

في هذه الاثناء راحت سلوي في غفوة قصيرة بعد أن تناولت من والدتها (ساندوتش) صغير من الجبن وملعقة الدواء – وبعد أن أبلغتها بضرورة الخروج بسرعة لأن جدتها مريضة جدا ..

عندما استيقظت سلوي سمعت وقع خطوات في الخارج .. وتصورت أن والدتها قد عادت بعد زيارة جدتها ، وانتظرت سلوي قليلا فربما تدخل عليها ولكن ذلك لم يحدث . لم تكن سلوي قد قامت من فراشها هذا الصباح ، فتوجهت إلي دورة المياه . كان اثنان من اللصوص قد دخلا غرفة نوم الوالدين ، أما الثالث فقد ظل واقفا عند باب الحجرة لمراقبة خروج سلوي من حجرتها ..

همس لزميليه قائلا : لقد خرجت البنت إلي دورة المياه ، ربما تعود إلي حجرتها مرة ثانية – حاولوا انتهاء العمل بسرعة وهدوء ..

غسلت سلوي وجهها ، وخرجت تمشي في تثاقل ، فقد كانت تشعر بالتعب ، لقد بدأت حرارتها في الارتفاع أكثر من قبل ..

نادت سلوي علي ماما ولكن لم يجب أحد توجهت ببطء إلي غرفة نوم ماما – واضطر اللص الواقف علي الباب أن يرفع (الماسك) من علي وجهه حتي لا تصرخ البنت من الفزع .

اقتربت سلوي وعندما شاهدت رجلا يقف عند باب الحجرة احتبس صوتها من شدة الخوف ، فخرج متحشرجا : انت مين ؟!! فين ماما .. ماما !!

أمسك اللص بيد سلوي في رفق : لا تخشي شيئا – لن نؤذيك...

دخلت سلوي معه لعلها تجد ماما داخل غرفتها ، وكانت المفاجأة – وجود لصين ملثمين بالداخل يعبثان بالأدراج والدولاب..

قال اللص المكشوف الوجه : لا تخشي شيئا – سوف نخرج بعد قليل ، ثم نظر لها بعينين لامعتين وقال بلهجة آمرة : ققي معنا هنا – لا تخشي شيئا ..

دخلت سلوي مغلوبة علي أمرها والدموع تنهمر من عينيها في خوف وذعر ، لقد عرفت أنهم لصوص.

وقفت سلوي كما أمرها اللص بين السرير و (التسريحة) واللص يراقبها ويتظاهر بالتخفيف عنها حتي لا تصرخ ويضطر للتعامل معها بعنف.

وقفت سلوي ترتجف وشاهدت لأول مرة عروسة جميلة موضوعة علي كرسي صغير بين السرير و(التسريحة) عروسة لها شعر أصفر وعينان زرقاوان ، وجسمها مغطي بثوب أحمر ينتهي من أسفل (بكرانيش) بيضاء مغطاه بفصوص لامعة .

ودار تفكيرها هنا وهناك ، فمازالت سلوي طفلة صغيرة وتري أمامها اللصوص ثم ما هذه العروسة ؟ إنها لم ترها من قبل !

لاحظ اللص أن سلوي تنظر في اتجاه العروسة فقال لها : هل هذه لعبتك ؟ وأمسك بها – لن ناخذها .. امسكيها بيديك ..

علي الجانب الآخر دق الجرس الخاص بالعروسة (عند لمسها) علي الجهاز الذي يحمله الضابط محمود في يده ، فاندهش بشدة .. ماذا حدث ؟ هل لامست فاتن العروسة دون أن تقصد ؟! إن العروسة في بيته منذ عدة أسابيع ، لم يحدث أي خطأ ثم أن سلوي خرجت إلي المدرسة ومعها فاتن – والخادمة لا تأتي اليوم إلي (الفيلا) أخذ محمود يستعيد ذاكرته عندما جاء بالعروسة إلي منزله وظنت فاتن أنها هدية لابنته سلوي ، ولكنه شرح لفاتن سر تلك العروسة وأنها جهاز إنقاذ مهم جدا – وذلك لتكرار حوادث السرقة والتهجم علي المنازل أو (الفيلات) التي يتركها أصحابها في المناطق الجديدة لفترات طويلة – وهناك منازل عادية تعرضت للسرقة في وجود أصحابها – وكثير من

الناس لا تفضل وجود كلاب الحراسة لأنها تحتاج إلي عناية ومكان خاص بها ، وقد تثير الازعاج لزوارهم علاوة علي تكلفتها الباهظة والتي لا تتناسب مع كل الناس – وأوضح الضابط محمود لزوجته أنه من خلال الجهود المتصلة للبحث العلمي ، توصلوا إلي جهاز رائع – إنه تلك العروسة .

وتذكر محمود عندما قالت فاتن في تهكم : ماذا تفعل العروسة ؟ هل تطلق الرصاص علي اللصوص ؟

وأكد محمود أن العروسة جهاز إلكتروني متطور يشبه قليلا التليفون المحمول ، وأنه مبرمج علي تليفونه المحمول ، فإذا لمس أي إنسان – مجرد اللمس هذا الجهاز ، فإن تليفونه المحمول يرن بصوت خاص يعرف أن هناك مشكلة في المكان الذي يوجد به (الجهاز العروسة) وهذا الشكل للجهاز ليكون تمويها للصوص حتي يروها مجرد لعبة .

كان لابد أن يشرح محمود لزوجته أنهم جهاز الشرطة بصدد إنشاء مكاتب خاصة لاستقبال أصوات الإنذار المرسلة من هذه الأجهزة ، وتظهر هذه المكاتب وكأنها مراكز عادية للشرطة ولكن في داخلها ما يشبه السنترال الإلكتروني – فعندما تستقبل هذه المكاتب إشارة من عروسة ما موجودة في إحدي المنازل ، يمكن التعرف علي مكانها – وأكد محمود أن الاختراع مازال في مرحلة التطوير والاختبار ، ومازالت تلك الأجهزة (العروسة) مع عدد محدود من المسئولين ، واتفق مع فاتن بالاحتفاظ بها علي كرسي صغير أقل ارتفاعا من السرير والاحتفاظ بها بين السرير

و (التسريحة) . استعاد محمود كل ذلك من ذاكرته في دقائق حتي يعرف ماذا حدث .. اتصل بتليفون منزله عدة مرات فلم يجب أحدا – طلب زوجته علي تليفونها المحمول ، فردت عليه قائلة : الحمد لله إنك اتصلت – لقد ذهبت إلي والدتي ، سوف انقلها حالا إلي المستشفي و .. قاطعها محمود : أين سلوي ؟ أهي بالمنزل ؟

فاتن : لقد استيقظت اليوم وحرارتها مرتفعة ، وهي تعلم أنني ذهبت إلي جدتها

أظن أنها نائمة الآن .

محمود : فاتن إن جرس العروسة يرن علي تليفوني المحمول

فاتن في دهشة : إن سلوي تعرف أنني بالخارج ، ربما دخلت غرفة النوم وشاهدت العروسة ...

محمود : إنني غير مطمئن – هل أوصدت باب غرفة النوم قبل خروجك ؟

لقد اتفقنا أن يكون مغلقا عند خروجك ...

فاتن : لست متذكرة – لا أعتقد – لا أعتقد ..

قام محمود باتصالات لإعداد قوة سريعة فربما كان في الأمر مكروها ، وتمني من كل قلبه أن تكون سلوي قد عبثت بالعروسة فقط – ولكن يجب ألا يستهين بالأمر .

حاول محمود الاتصال مرة أخري علي تليفون البيت والذي كان قريبا من حجرة سلوي ، ولكن دون جدوي .

وفي (الفيلا) قام اللصوص الثلاثة برفع سماعة التليفون حتي يتصور من يتصل أن سلوي تتحدث مع أي احد . واستطاعوا فتح الدولاب بسهولة ويسر – فقد كان غير موصدا باستثناء علبة الحلي الموضوعة علي (التسريحة) والتي أخذت بعض الوقت لفتحها ..

قال اللص مكشوف الوجه : لابد من إنهاء العمل بسرعة .. بسرعة ..

كان محمود قد رسم خطة وقائية سريعة ، أن تظل سيارة تراقب من علي بعد ، فقد تلاحظ شيئا ما من خلال المراقبة (بالتليسكوب) ... أما هو فقد توجه بسيارة أخري نحو البيت ، وما أثار قلقه أن صوت الجرس المنبعث من العروسة لم ينقطع ..

وصل محمود إلي منزله وفتح الباب الخارجي برفق ودخل رافعا مسدسه ، ولكن اللصوص كانوا قد غادروا المكان للتو وأغلقوا الباب خلفهم .

دخل محمود غرفة نومه ، فوجد سلوي ملقاة علي الأرض في حالة إغماء وهي تمسك بالعروسة .. أخذ محمود العروسة ووضعها علي الكرسي برفق كما كانت.. وحمل سلوي ، فمنذ دخوله الغرفة – عرف ما حدث من خلال الفوضي الموجودة والأشياء المبعثرة ...

وبعد دقائق جاءه علي التليفون أن اللصوص وقعوا في يد قوات الشرطة التي كانت تراقب من بعد .. وفشلت العصابة في

الهروب بالسيارة التي كانت معهم ، فهاجمتهم قوات البوليس وأمسكت بهم .

جاءت سيارة الإسعاف ونقلت سلوي إلي أقرب مستشفي وجلس محمود يجوار ابنته يحتضنها ويطمئنها عندما عادت فاتن وعرفت كل شيء اعتذرت لمحمود ، لأنها لم تتنبه إلي إغلاق باب (الفيلا) الخارجي وكذلك باب حجرتها .

ظلت الأسرة الصغيرة محمود وفاتن عدة أسابيع يحيطان ابنتهما بالرعاية الكبيرة حتي تشعر بالأمان ويزول عنها الخوف .

قال محمود : سلوي أنت بطلة وشجاعة

قالت سلوي وكانت قد بدأت تتجاوز الصدمة : ولكن ما هذه العروسة ؟

أجاب محمود : انظري لقد اشتريت لك عروسة أجمل منها ، أما تلك العروسة الأخري فسوف أحكي لك عنها فيما بعد .

وبعد أن هدأت الأمور قالت فاتن : لقد أنقذت العروسة الإلكترونية سلوي..

قال محمود : لقد نجحت التجربة.

العنوان المجهول

لـــم يعـــرف سببا لاحتجازه في قسم الشرطة ، فقد وقف في حجرة الضابط أكثر من ساعة دون السماح له بالجلوس أو الحجز أو حتي الحديث معه في أي شيء . كان يخشي أن يسأل عن سر القبض عليه بهذه السرعة وذلك العنف . وقف في حيرة من أمره – مكالمات تليفونية ، صوتا هامسا ثم يعلو في النهاية : حاضر يا فندم ، أوامرك .. مع السلامة .

نظر إليه الضابط يتفحصه مدققا في وجهه ثم قال : ماإسمك؟

- حسن.. حسن عبد الظاهر
- منين ياحسن ؟
- ميت عقبة
- عندك كام سنة ؟
- خمسة عشر
- والدك بيشتغل إيه ؟
- ساعي في مدرسة
- في اي مدرسة ؟
- يعني كان ساعي وسافر وعاد منذ يومين ..

وأثـــناء تسجيل استجواب حسن أذن له أن يجلس علي المقعد المقابل له

- هل يسكن معكما أحد بالبيت ؟

- أنا ووالدي فقط

واصل الضابط التحقيق مع حسن قائلا : في أي بلد كان يعمل والدك ؟

- الكويت

- هل هو في البيت الآن ؟

- لقد أنهي عمله وعاد لأسباب صحية ، إنه مريض ..

- أجب علي سؤالي هل والدك بالبيت ؟

- نعم

سأل الضابط في حدة : العنوان ؟

- ٣ شارع الرشيد .. الدور الثاني

أمر الضابط مساعده الذي كان واقفا بانتباه أن يذهب فورا لاحضار عبد الظاهر .

قال الضابط : يا حسن هل تعرف أحدا هنا في المهندسين ؟

- الحقيقة لأ

- قل لي ماذا فعلت اليوم بالتفصيل – بالتفصيل قبل أن تأتي إلي المهندسين

- كنت أقوم بتوصيل أمانة – خطاب في (بين السرايات)

- المظروف الذي وجدناه معك لا توجد عليه أية بيانات ، هل كان معك مظروفا آخر ؟

- نعم ولكن كان مكتوبا عليه العنوان بوضوح .

- ما هو العنوان ؟

- يا فندم دا .. مجرد خطاب !

- انطق ماهو العنوان ؟

- ٨ شارع البكري – بين السرايات ..

- الاسم ؟

- الأستاذ فهمي عبد ربه

دق التليفون ، فتوقف الضابط عن سؤال حسن ورفع السماعة قائلا :

تحت أمرك يا فندم ... سوف نفتح المظروف .. مفهوم .. أرسلنا لاستدعاء الأب – مفهوم يا فندم – مع السلامة يافندم .

- قل لي يا حسن ما هو العنوان الذي كنت تبحث عنه في المهندسين ؟

- لا أعرف

- ما اسم الشخص الذي كنت تبحث عنه في المهندسين ؟

- محفوظ

- الإسم بالكامل

- لا أعرف

حاول الضابط أن يسيطر علي غضبه قائلا : حسن أنت صغير .. لا أريد أن تتعرض للإهانة..... من الذي أعطاك المظروفين ؟

- والدي – طلب منه اثنان بتوصيل هذين المظروفين إلي أصحابهما عندما يصل إلي مصر .

- وكيف قمت بتوصيل المظروف الأول – احكي لي بالتفصيل

- العنوان كان واضحا علي المظروف – ذهبت إلي (بين السرايات)

وسألت أحد الجالسين هناك عن العنوان

- الجالسين أين ؟

- الجالسين أمام أحد مكاتب تصوير الأوراق ، إنها منطقة قريبة جدا من الجامعة وبها كثير من مكاتب التصوير .. سألت عن العنوان – ووصلت إلي شارع البكري

- ما الاسم الذي كان مكتوبا علي الظرف ؟

- الأستاذ فهمي عبد ربه

- آه قلت لي ذلك من قبل ، وهل تعرف الأستاذ فهمي

- أبدا .. أول مرة ، إنه مجرد خطاب أسلمه إلي صاحبه

- كيف كانت مقابلته لك ؟

حسن في دهشة وحيرة مكتومة ، يحاول ألا تظهر في تعبيرات وجهه:

رحب بي وأدخلني حتي استريح قليلا وسلمته المظروف

- ماذا فعل أثناء وجودك عنده ؟ هل تحدث في التليفون مثلا ؟

- لم أمكث سوي بضعة دقائق – قدم لي (حاجة ساقعة) ثم انصرفت علي الفور .

- حسن من الممكن أن أعرف كل شيء عن المظروف الذي وجدناه معك – ولكن الهدف من سؤالي لك الآن للتأكد أنك لا تكذب .

دخل الأب حجرة الضابط يرافقه اثنان من الجنود ، وعندما وقعت عيناه علي ابنه حسن شعر بالخوف وتزاحمت في رأسه عشرات الأسئلة ثم نظر إلي الضابط قائلا : ماذا فعل ابني يا حضرة الضابط ؟!

- تعال أدخل .. اسمك بالكامل

- عبد الظاهر.. عبد الظاهر رمضان درويش

- عملك

- أنا راجل بسيط.. كنت أعمل ساعي في مدرسة بالكويت وعدت منذ يومين – يعني أنهيت خدمتي لأسباب صحية ..

- هل سلمت ابنك خطابات معينة ؟

شعر عبد الظاهر بالحجرة تلف به ولم يفهم معني السؤال ، وكأنه نسي لبضعة ثوان أنه قد فعل هذا ثم انتبه علي صوت الضابط وهو يعيد عليه السؤال مرة ثانية

قال عبد الظاهر : نعم أعطيت حسن خطابين

- من الذي أعطي لك هذين المظروفين ؟

- خطاب من زميل لي في المدرسة التي كنت أعمل بها موجه إلي أحد أقاربه

- ما اسم زميلك ؟

- عزت .. عزت عبد الرءوف

- والخطاب الثاني ؟

لم يجب عبد الظاهر سريعا – لم يفهم سر وجوده ، ووجود ابنه في قسم الشرطة – ماذا فعل ؟ ونظر إلي حسن وتبادلا

نظـــرات كلهـــا تســـاؤل أفاق منها علي سؤال الضابط مرة ثانية: والخطاب الثاني يا عبد الظاهر ؟

- بصراحة يا فندم .. بصراحة.. يعني ..
- هل أعطيت ابنك مظروفا بلا عنوان ؟
- نعـم ، عـندما كنت في المطار حضر رجل وطلب مني خدمة
- ماذا قال بالضبط ؟
- قال أرجوك حاول توصيل هذا الخطاب لشخص مريض جدا
- ألم تسأله كيف تقوم بذلك بدون عنوان ؟
- لقد كان العنوان مكتوبا في ورقة منفصلة ، أعطاني إياها مرفقة بالخطاب – لقد ترجاني كثيرا ، قال أنها خدمة كبيرة ، فلم اسأله عن سبب فصل العنوان والاسم عن المظروف .
- وأين هذه الورقة ؟
- لقـد فقدت مني للأسف – لم أتذكر سوي أن اسم الرجل المرسل إلـيه المظروف هو محفوظ ، وأنه يسكن في شارع في المهندسين
- ولماذا تذكرت فقط اسم الرجل ؟
- لأن أخي اسمه محفوظ
- ألم تتذكر اسم الشارع ؟
- أتذكر انه اسم إحدى البلاد العربية

- معظم شوارع المهندسين تسمي علي أسماء البلاد العربية أو عواصمها – تذكر حاول حاول يا عبد الظاهر
- أعذرنـــي حضـــرتك يا سعادة البيه ، لقد عدت إلي بلدي وأنهيت خدمتي والاستقرار بجوار إبني .. ماذا فعل ؟

قام الضابط باستدعاء أحد رجال الأمن وكان يرتدي الملابس العاديـــة ... شاور له الضابط بالجلوس – وتذكر حسن أنه شاهد ذلـك الرجل ولكنه لم يلحظ أنه يراقبه أثناء تجواله في الشارع – لقد لمح حسن الآن فقط (طبنجة) صغيرة مثبتة حول وسطه إنه رجل يقف في الشارع لا يظهر عليه أنه من رجال الشرطة

قال الضابط : ألم تفكر ياحسن أن تفتح المظروف ؟

- فكـرت ولكـن والدي نصحني بالمحاولة.. يعني محاولة العـثور علي العنوان من خلال الاسم المرسل إليه- محفوظ وقال لي

(يمكن تلاقي حد يعرفه)

- أهذا (المحفوظ) مشهور إلي هذا الحد ؟
- لا أعـرف ، ولكـن عـندما ذهبـت إلي منطقة (بين السرايات)

وسألت عن الأستاذ فهمي عرفه الرجل الذي كان يجلس هناك وأرسل معي ولدا صغيرا قام بتوصيلي إلي البيت بسهولة

- وعندما جئت إلي المهندسين ماذا فعلت ؟
- سألت كثيرا
- سألت من ؟

- سألت عمال النظافة (أتعرفون الأستاذ محفوظ ؟)

وسألوني : قالوا لك فين بالضبط ؟

قلت : الأستاذ محفوظ يسكن هنا في المهندسين في أحد الشوارع المسماة بأسماء البلاد العربية ، ممكن العراق – سوريا – لبنان ...

ولكنهم هزوا أكتافهم وانصرفوا ..

نظر الضابط بحدة إلي عبد الظاهر : ما اسم الشارع يا عبد الظاهر حاول أن تتذكر دق جرس التليفون وبعد حوار سريع نظر الضابط إلي (رجل الأمن المسلح) كي يدلي بأقواله : وجدت هذا الصبي يظهر في الشارع ثم يختفي ، ثم يعود في الظهور مرة ثانية- وعرفت أنه غريب عن المنطقة إذ أننا نعرف سكان المنطقة جيدا – واقتربت منه وسألته ماذا يريد فقال : أبحث عن الأستاذ محفوظ سألته أين يسكن ؟ أجاب : في المهندسين قلت : ماذا تريد من الأستاذ محفوظ ؟ أجاب : معي مظروفا له – ولكنني لا اعرف العنوان بالضبط ، ولما طلبت منه أن أري المظروف حاول الابتعاد فأمرت بالإمساك به وأخذت منه المظروف .

وجه الضابط حديثه إلي عبد الظاهر : هل هذا هو المظروف يا عبد الظاهر ؟

- أظنه هو سيادتك

خرج الضابط من الحجرة يحمل المظروف الغامض يتبعه (رجل الأمن المسلح) – توجه الضابط إلي حجرة أخرى أكثر

اتساعا يجلس بها ضابطين برتبة (لواء) وقدم لهما التحية العسكرية .

لقد كان الثلاثة بمثابة لجنة لفتح المظروف بعد اختباره من قبل والتأكد من عدم احتوائه علي أية متفجرات ...

أمر أحد اللواءين الضابط بفتح المظروف ..

فتح الضابط المظروف برفق وحذر حتي لا يخدش شيئا بداخله ، فماذا وجدوا ؟ رقائق مشبعة بمادة ما ومغلفة بغلاف يمكن نزعه إنها رقائق تشبه (الاستيكرز) .. ومكتوبا علي الغلاف الخارجي لكل قطعة الاسم بالحروف الإنجليزية .... دقق أحدهم في الاسم وبدأ يحاول قراءته : (د.. و .. ج .. ديوريجسيك ٥٠ ملل)

انظر .. ماذا ؟

قرأ الآخر الاسم ببطء : نعم (ديوريجسيك) ماذا تعني ؟ هل هناك تعمد في عدم كتابة العنوان علي الظرف وبين هذه الرقائق؟ أم انها صدفة ؟

وهل هناك علاقة بين هذا المظروف والخطاب الآخر ؟

الضابط : اسمحوا لي ، إن هذا الرجل عبد الظاهر استلم مظروفين منفصلين ، الأول واضح العنوان والاسم ومن الممكن العثور عليه بسهولة ولكن الصبي أشار إليه وكان من الممكن أن لا يذكره نهائيا إذا كانت به أية شبهة – من الممكن حضراتكم أن تأذنوا بإرسال عينة من هذه الرقائق إلي المعمل الجنائي ووزارة الصحة مثلا لنعرف فيما تستخدم .

رد أحدهمـــا : نعم ، قم بهذا علي وجه السرعة عاد الضابط إلي الأب والابن ثم قال موجها حديثه إلي الأب :

يا عبد الظاهر حاول أن تتذكر العنوان ...

لــم يجـد عـبد الظاهـــر أية إجابة يستطيع أن يرد بها علي الضـــابط ، ونظـــر إليه في حديث صامت وكأنه يقول له : أنا لا أفهم شيئا ! لماذا أنا هنا !

وابني ماذا فعل ! كل هذا لأنه يبحث عن عنوان مجهول !هل أجرمت لأنني لم أتذكر العنوان ؟ ولكن .. ولكن لماذا كتب الرجل العنوان في ورقة منفصلة ؟ لماذا ؟

قطع الضابط حديث عبد الظاهر مع نفسه قائلا : عبد الظاهر ســوف تظل معنا أنت وحسن حتي نكشف عن سر المظروف رد الأب في هدوء : أي سر يا حضرة الضابط !

- ليس من حقك أن تسأل

- اسمح لي بالعودة إلي بيتي

تجاهل الضابط رجاء عبد الظاهر وسأله : قل لي هل تعرف دواء أو أي شيء اسمه (ديوريجسيك) ؟

صمت عبد الظاهر قليلا يفكر : لا .. لا أعرف سيادتك..

هــل تسـمح لي بالعودة إلي بيتي أنا وابني.. من الممكن أن أكتب تعهدا بالحضور غدا صباحا

- هل تتناول أدوية معينة ؟

- نعـــم إنها بالبيت من الممكن أن أحضرها لحضرتك غدا فـــي الصـــباح الـــباكر صمت الجميع لبضعة دقائق ، رفع خلالها

الضابط سماعة التليفون ، وبعد حديث قصير وغير مسموع قال : طيب أتفضل أنت وحسن ولكن يجب الحضور هنا غدا في الثامنة صباحا ...

وصل التقرير الطبي ....

قرأ سيادة اللواء التقرير الذي تضمن شرحا وافيا عن رقائق (ديوريجسيك ٥٠ ملل) وقال موضحا :

إنهـــا دواء لتســكين الآلام الشديدة.. واضح من التقرير انها تلصق للمريض علي المكان الذي به الداء حتي تخفف المعاناة عن المريض ...

قال أحدهم : وماذا في ذلك ؟

- هذه الرقائق ممنوع تداولها نهائيا رغم أهميتها الشديدة – ولكن يوجد بدائل أخرى تقوم بنفس الغرض

- معني ذلك أنها مهربة

- وهـــذا يفســـر أن الذي أرسلها لم يكتب اسمه أو العنوان المرسلة إليه علي المظروف حتي لا يتحمل أية مسئولية في حالة ضبطها

- أهي ممنوعة إلي هذا الدرجة ؟

- نعم إنها غير مسموحة حتي في للمستشفيات

- هـــذا يفسر أن الرجل الذي سلمها لعبد الظاهر ترجاه أن يقوم بتوصيلها إلي شخص مريض جدا

- معنـــي ذلك أن عبد الظاهر وابنه لايعلمان شيئا عن تلك الرقائق

- بالضبط ... هل حضرا اليوم ؟

أجــاب الضابط : حضرا في الميعاد يا فندم ، هل نستمر في التحفظ عليهما ؟

- لا داعي لذلك – إخلي سبيلهما ونتحفظ علي المظروف
- وإذا سأل عبد الظاهر عن المظروف ؟
- اخبره أننا سنقوم باللازم لأن

(الشرطة في خدمة الشعب).

الفهرس